MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مراكش
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Marrakech

المسلك : الدراسات الإسلامية

المسار: القرآن و الحديث

الفصل : السادس

النقد الإستشراقي لمرويات السيرةالنبوية من خلال كتاب "محمد في مكة" لوليام مونتجمري واط

إعداد الطالب :

أنس تيزوكط

رقم التسجيل : (1802207)

تحت إشراف الدكتور :

عمر القشيري

السنة الجامعية:1442– 1441هـ /2021 ـ 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاهد في سبيل ربه سبحانه حق جهاده.

إلى التاجَين الذيْن بسببهما أنا مولود، إلى الذَيْن لهما تهدى كل الهدايا بلا حُقود، إلى الذيْن شجعاني لبذل هذا المجهود، إلى الذيْن بفضلهما أنا فيما فيه الآن موجود، إلى والدَيَّ خير من لي في هذا الوُجود..

إلى أساتذتي الفضلاء، وشيوخي الكرام، إلى من حفظوني كتاب الله تعالى:

الأستاذ خالد أبو الزبير، والأستاذ عبد الرزاق أعويش، و الشيخ إسماعيل الهداجي جزاهم الله عني كل خير

إلى الذين زرعوا في حب العلم؛ الأستاذ الدكتور مولاي أحمد رفيق الخير، و الأستاذة أمينة الحنصالي، والأستاذة الدكتورة ليلى السبيعي، والأستاذ رشيد واعتو، والأستاذة حنان المالكي.. أساتذتي في الثانوية

جزاهم الله عني كل خير

إلى صديقيّ الحبيبين المقربين إلى قلبي..

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.. أسأل الله تعالى قبولا حسنا... آمين.

شكر وتقدير

اتباعا لقول النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم: " لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"[1].

فإنني أتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير وبالغ الإمتنان إلى أستاذي فضيلة الدكتور **عمر القشيري..** منسق شعبة الدراسات الإسلامية بالكلية، و المشرف على هذا البحث، على رعايته وحياطته لهذا البحث منذ أن كان في مهده، ولم يألُ جهدا بإرشاد وتعليم وصبر و مصابرة وتصحيح وتصويب في سبيل إتمام بحوث الطلبة على أفضل حال؛ فكان لنا خير الموجه ونعم المعلم.. أسأل الله تعالى أن يعظم له الجزاء، وأن ينفع به، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته..

كما أتوجه بالشكر إلى كل من كانت له علي يد، وجعله الله سببا لإتمام هذا البحث من آل وعشيرة وأحباب.. وإلى أقرب صديقين إلى قلبي.. فجزاهم الله تعالى جميعا خير الجزاء.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد وغيره و اللفظ له في مسند أبي هريرة (322/13) برقم 7939 وحققه شعيب الأرنؤوط؛ وقال إسناده صحيح

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد أشرف المخلوقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد توالت الهجمات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ بعثته وما زالت حتى الآن، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل في ذلك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[سورة الفرقان، الآية31]، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم جُوبه بعدة جبهات؛ وذلك لأنه آخر إرسال من رب السماء لهداية أهل الأرض، فقد ختم الله به الرسالات، وهذه الخاتمية لم تنل حظوة من الكثيرين ـ لاسيما اليهود والنصارى ـ الذين كانوا يتشوفون ويتشوقون إلى أن يكون خاتم الرسل من بني إسرائيل، فدعاهم ذلك إلى إثارة الشبهات عليه صلى الله عليه وسلم ومناصبته العداء، وقد تمثل هذا العداء قديما في عدة جبهات هي: اليهود والنصارى، وجبهة المشركينك وجبهة المنافقين، واليوم انضمت جبهة جديدة إلى تلك الجبهات وهي الإستشراق والتبشير، والتي يقف على ثغرها أناس سموا المستشرقين؛ لأنهم يدرسون علوم الشرق ودينه وثقافته، لا بغرض العلم ـ إلا فيما ندُر ـ وإنما بغرض الطعن فيها ومحاولة إثارة الشبهات حولها، و النيل من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا؛ ودور الدعاة إلى الله يتطلب الوقوف على مناهج هؤلاء المستشرقين تحليلا ونقدا؛ للذب عن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وأرجو أن يكون هذا البحث المتواضع إسهاما مني في هذا الميدان.

خطة البحث:

ويقوم هذا البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة :

أما المقدمة فتشتمل على خطة البحث، و أسباب اختيار الموضوع، وبعض الدراسات السابقة..

ثم يأتي بعد المقدمة الفصل الأول بعنوان "الإستشراق مفهومه وتاريخه" والذي يشتمل بدوره على أربعة مباحث، عنونت أولها بعنوان " مفهوم الإستشراق وأهدافه وغاياته" وذطرت فيه مفهوم الإستشراق وبعضا من أهداف المستشرقين، وأطلقت على المبحث الثاني عنوان " تاريخ الحركة الإستشراقية" وذكرت فيه بداية هذه الحركة وأوائل روادها ـ المعلومين ـ، وفي المبحث الثالث "نماذج من المستشرقين" ذكرت نموذجين من

المستشرقين أولهما عدو للإسلام والآخر منصف له، وتركت المبحث الأخير "لبدايات النقد الإستشراقي لمرويات السيرة النبوية.

ثم يأتي الفصل الثاني بعنوان "النقد الإستشراقي لمرويات السيرة النبوية من خلال كتاب (محمد في مكة) لويليام مونتجومري وات"، ووزعته هو الخر على أربعة مباحث؛ وقبل هذه المباحث وضعت مدخلا أعف فيه بهذا المستشرق،ثم ذكرت في أول مبحث "منهجية كتاب(محمد في مكة) وتصميمه"، وفي المبحث الثاني أوردت "مصادر هذا الكتاب" وتكلمت عنها وأدرجت بعضا من الأمثلة عليها، وفي ثالث هذه المباحث ذكرت "قواعد منهج وات في دراسة السيرة النبوية"، وختمت هذه المباحث ؛ بمبحث عنوانه "بعض قضايا السيرة النبوية في فكر وات" و أوردت فيه بغضا من الشبهات التي يفتريها وات، وأوردت بعضا من الردود عليها.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها بعض النتائج ، ثم ذكرت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

أسباب اختيار الموضوع

واخترت هذا الموضوع ليكون محور بحثي لعدة أسباب منها:

1ـ حبي للنبي صلى الله عليه وسلم، والذي دفعني إلى معرفة ما يردده الأفّاكون في الغرب، والرد عليهم

2ـ إبطال الشبهات التي يثيرها التيار الإستشراقي المتعصب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم

3ـ شهرة المستشرق وات في العالم الغربي، وتداول كتب له كذلك في العالم العربي، مما جعل الحاجة ماسة إلى بيان ما في هذه الكتابات من فكر خاطئ، حتى يكون القارئ العربي على بينة مما يقرأ.

4ـ إماطة اللثام عن أسلوب وات العجيب والمتلون الذي يستطيع من خلاله أن يكسب عاطفة القارئ حين يكتب عن الإسلام لدرجة أنه استطاع التلبيس على البعض، وإيهامهم بأنه ليس متعصبا ضد الإسلام؛ لذا أردت وضع الأمر في نصابه ـ وإن كنت غير أهل لذلك بعد ـ.

الدراسات السابقة

لقد اهتم علماء الإسلام بهذا التيار (التيار الإستشراقي) اهتماما بالغا ودرسوه دراسة متعمقة، صنفوا فيه كتبا كثيرة، وأذكر بعضا من المصنفين في هذا المجال:

ـ الدكتور مصطفى السباعي والذي ألف كتابا عنوانه "الإستشراق والمستشرقون؛ ما لهم وما عليهم".

ـ الدكتور عبد الحليم محمود بكتاب "أوربا و الإسلام" .

ـ الدكتور عماد الدين الخليل بكتابه "قالو عن الإسلام".

ـ الدكتور محمد خروبات بكتابه "الإستشراق والعلوم الإسلامية بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل".

وأرجوا من الله التوفيق و السداد

الفصل الأول: الإستشراق؛ مفهومه وغاياته

المبحث الأول: مفهوم الإستشراق وأهدافه وغاياته

المبحث الثاني: تاريخ الحركة الإستشراقية

المبحث الثالث: نماذج من المستشرقين

المبحث الرابع: بدايات النقد الإستشراقي لمرويات السيرة النبوية

المبحث الأول :مفهوم الإستشراق و أهدافه و غاياته

مفهوم الإستشراق

عندما نذكر موضوع الإستشراق يجب أن نعلم أننا لم نذكر موضوعا مزعجا بالنسبة إلينا. يثير القلق والضجر ، ونتعامل معه بمنطق التحامل والتعصب. بل إن الإستشراق هو موضوع ككل الموضوعات الموجودة في الساحة الثقافية والعلمية ويحظى باهتمامات متزايدة ، هو موضوع ذو إشكالية هي كمثيلاتها من الإشكاليات الكبرى التي واجهها الفكر الإسلامي منذ وقت مبكر ولازالت تتوالى وتتزايد كإشكالية "التراث والعلم" وإشكالية "العقل والنقل". وقد أكسبت العقل الإسلامي انفتاحا على هذا النوع من الإشكاليات والتي يبدو الإستشراق واحدا منها[1].

فالإستشراق مدرسة فكرية ذات خصائص ودوافع وغايات. وليس من اليسير على أي باحث أن يحيط بأسرار هذه المدرسة وأن يستكشف كل خطواتها وأن يلم بأهدافها. فهي وليد صراع طويل بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية. وهي نتاج تجربة حية من تناقض وتباين بين عقيدتين وثقافتين وحضارتين .

موضوع كهذا تتهافت عليه الآراء وتدلى حوله المفاهيم. هذه الآراء والمفاهيم تعكس حينا خلفيات إيديولوجية وحينا خلفيات معرفية. تعددت حتى تقاربت، وهذا يؤدي بنا إلى إشكال آخر غير التعريف بالموضوع الذي نعالجه، ألا وهو توحيد الآراء وتوحيد النظرة الموجهة إلى هذا الموضوع ـ موضوع الإستشراق ـ . فكل يدلي برأيه كما يشاء وكما يهوى. فالمؤيد لفكرة الإستشراق له نظره، والمعارض له نظره[2].

وبهذا فالإستشراق لا يقف على تعريف واحد ، بل تتعدد فيه الرؤى والتوجهات.

وقد ذكر الدكتور محمد خروبات هذه التوجهات قائلا:

---

[1]: ينظر كتاب أ.ذ محمد خروبات : الإستشراق والعلوم الإسلامية بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل ص31

[2]: السابق. ص31

منهم من يرى أن الإستشراق مؤسسة قائمة على صورة معقدة نسجها الغرب تجاه ما أسموه ب"الشرق"، وأن هذه المؤسسة هي ذات سلطة وذات إنشاء وذات معرفة...

- ومنهم من يرى أن الإستشراق هو اهتمام المستشرقين بالشرق اهتماما علميا وفكريا وثقافيا...

- ومنهم من يرى أن الإستشراق هو علم له مؤسساته ومصطلحاته ومناهجه وأعلامه.

- ومنهم من يرى أن الإستشراق هو لون من ألوان التبشير، وشكل من أشكال الإستعمار.

- ومنهم من يرى أن الإستشراق حركة سياسية ذات أهداف بعيدة... "[1].

أهداف الإستشراق وغاياته:

لكل حركة كيفما كانت أهداف وغايات تطمح إلى تحقيقها، فلو لم تكن كذلك لكانت فارغة ولا أهمية لها، ولانتشر فيها العبث ولم يولها أحد اهتماما. وكذلك الإستشراق له أهدافه وإلا لم يكن بهذه الشهرة التي وصل إليها، كما أن هذه الأهداف تتنوع. وتنقسم أهداف المستشرقين في جملتهم من الدراسات الإستشراقية إلى ثلاثة أقسام:

أ. **هدف علمي مشبوه،** و مغزاه:

1. التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الإلهي، فأغلبه ينكر كون النبي صلى الله عليه وسلم نبيا موحى إليه من عند الله تعالى، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا، وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. فمنهم من يؤول ذلك بأنه صرع كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حينا بعد حين، ومنهم من يؤوله بأنه تخيلات كانت تملأ ذهنه صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يرجعها إلى مرض نفسي وهكذا دواليك. كأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يوحى إليه أو أول من يأتي بهذه النبوءة. قال الدكتور مصطفى السباعي : "ولما كانوا كلهم بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة ، وهم كانوا أضل شأنا من محمد صلى الله عليه وسلم في التاريخ

[1]: كتاب خروبات ص34

2. والتأثير والمبادئ التي نادى بها. كان إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسس ومبشرين"[1]، ويشمل ذلك أن يكون القرآن منزلا عليه من عند الله تعالى، وحين يدهشهم ويستصعب عليهم ما ورد فيه من الحقائق التاريخية عن الأمم السابقة أن يكون صادرا من رجل أمي مثل محمد صلى الله عليه وسلم. يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهده صلى الله عليه وسلم أنه كان يستمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها ويتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا. وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تكتشف إلا في هذا العصر، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم، فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه .
3. ويتبع إنكارهم للسيرة النبوية وسماوية القرآن إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله ، وإنما هو مؤلف -عندهم- من الديانتين اليهودية والمسيحية. وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الإلتقاء بين الإسلام وبين المسيحية واليهودية.
4. التشكيك في صحة الحديث الذي اعتمده علماؤنا، ويتذرعون بما دخل على الحديث من وضع ودس، متجاهلين جهود علماء الحديث التي بذلوها لتنقية الحديث الصحيح من غيره. وقد ناقشهم الدكتور "مصطفى السباعي" في ذلك نقاشا علميا في كتابه: "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي".
5. التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية: فهم يزعمون أن هذا التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور مستمد من الفقه الروماني، وقد بين العلماء بطلان هذه الدعوى. كما تقرر في مؤتمر القانون المقارن الذي انعقد ب"لاهاي" أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمدا من أي فقه آخر.
6. التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي لتظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي والعلمي علينا. متناسين أنهم استمدوا مجمل العلوم من علمائنا أمثال : الخوارزمي وابن الهيثم وغيرهم من العلماء الذين لهم الأثر البارز في شتى المجالات.

[1]. مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم.، ص: 26

ب. أهداف دينية وسياسية

وتتلخص فيما يلي:

1) تشكيك المسلمين بدينهم وقرآنهم وشريعتهم.
2) تشكيك المسلمين بتراثهم الحضاري. حيث يدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن الحضارة الرومانية.
3) إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح هذا الشك في كل ما بين أيديهم من عقيدة وقيم ومثل عليا؛ ليسهل نشر الإستعمار وتشديد الوطأة على المسلمين.
4) إضعاف روح الإخاء الإسلامي في مختلف الأقطار عن طريق إحياء القوميات التي كانت قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات فيما بين المسلمين، وذلك ليسهل التوغل الإستعماري في الوطن الإسلامي.

ج. أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص.

وتهتم بدراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تبين لهم بعض الحقائق التي خفيت عنهم، وهذا الصنف قليل جدا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والإستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها. وهذه الفئة هي أسلم الفئات الثلاث في أهدافها وأقلها خطرا؛ إذ إنهم يرجعون إلى الحق إذا تبين لهم، غير أنهم بذلك يلقون عنتا من أصحاب الهدفين السابقين، حيث ينعتونهم ويتهمونهم بالإنحراف عن النهج العلمي، أو الإنسياق وراء العاطفة أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم، كما فعلوا مع "توماس أرلوند" الذي أنصف المسلمين في كتابه "الدعوة إلى الإسلام". فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم[1].

[1]: ينظر كتاب د. مصطفى السباعي: الإستشراق و المستشرقون =ما لهم وما عليهم= ص25 . ص33

المبحث الثاني : تاريخ الحركة الإستشراقية.

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك. ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها فتثقفوا في مدارسها. وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء مسلمين في مختلف العلوم وخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات...

"ومن أوائل هؤلاء الرهبان؛ الراهب الفرنسي"جربرت" الذي انتخب بابا لكنيسة روما سنة 999م باسم "سلفستر الثاني" بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده. و "Pierrele Aénéré"سنة 1092م _ 1186م. و"جيرارد كريمون" سنة 1114م _ 1187م"[1].

لابد أن نشير إلى زمن الفتوحات الإسلامية قبل الإشارة إلى الإستشراق فهو ـ غالبا ـ المحرك الأساس للحركة الإستشراقية. ففتح الأندلس قد أوقع في نفوس الأوربيين المرارة والثقل والحقد على الإسلام والمسلمين، لاسيما الكنيسة الكاثوليكية، فهي لم تستطع بجميع طرقها أن توقف زحف الإسلام في الأراضي الأوروبية. حيث أن المسلمين في الأندلس في القرن العاشر الميلادي؛ قد حفظوا العلوم والآداب التي أهملت في كل مكان. حتى في القسطنطينية، وكان الأوروبيون المتعطشون للعلم والمعرفة يقصدون بلاد الأندلس ليرووا ظمأهم الثقافي. وكان منهم "جربرت" الذي ذكر سابقا وكثير من الأوروبيين الذين يجهلون عن هذا الدين يدخلون إليه حال معرفتهم به . ومع توالي الأعوام زاد خطر الإسلام على الدول المسيحية، وحز هذا في نفوس المسيحيين، مما دفعهم إلى البحث عن قوة تستطيع مساعدتهم على إيقاف هذا الزحف المتواصل للإسلام، فتحالفت القوات المسيحية الأوروبية على المسلمين ونشأ ما يسمى بالحروب الصليبية، وبعد هذه الحروب رأى الأوربيون أنه من الضروري معرفة من هم المسلمون؟ وكيف أتوا؟ وكيف لهم أن يفعلوا بهم ما فعلوه من فتوحات وزحف في أراضيهم؟ فبدأت البعثات

[1]: د. مصطفى السباعي: الإستشراق و المستشرقون =ما لهم وما عليهم= ص18

الأوربية بالقدوم إلى البلدان العربية، واقتناء المعلومات عنها والتقصي عن أحوال العرب. ولذلك - بالمعلومات التي أتتهم- دخل الطمع إلى نفوس الأوربيين في الثروات التاريخية والطبيعية لدى العرب. فشرعوا في مقدمات الإستعمار والإستشراق. والبعثات التي تدرس أحوال العرب هي من ضمن تلك المقدمات.

المبحث الثالث: نماذج من المستشرقين.

جولد تسيهر: هو مستشرق يهودي مجري ولد في 22 نونبر 1850 بمدينة سيكشفهيرفار. عرف بنقده الشديد للإسلام . وهو من محرري "دار المعارف الإسلامية" ويعتبر من مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا. تلقى تعليمه في جامعة بودابست[1].

من أهم مؤلفاته:

1- "الظاهرية: مذهبهم وتاريخهم" وصدر عام 1884.

2-"الحديث في الإسلام". وصدر عام 1909.

3-"إخوان الصفا". وصدر عام 1920.

4-"مذاهب التفسير الإسلامي". وصدر عام 1920.

لم يلتزم "تسيهر" بمنهجية البحث العلمي، واعتمد على نظرته وآرائه الشخصية في قراءة النصوص وتفسيرها، وحاول إعطاء هذه الآراء مصداقية وعلمية، على الرغم من كون أصول البحث تقتضي عدم تحميل النص ما لا يتحمل خارج إطاره الزماني والمكاني.

ويعد "جولد تسيهر" من أخطر المستشرقين على الإسلام والمسلمين لما يكنه من الحقد والضغينة والبغض للإسلام، محاولا التشكيك في أصول هذا الدين وضرب ثوابته. ومن كثير أقواله وافتراءاته نذكر قوله:

"لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به. له مثل هذه الصورة من الإضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني"[1].

[1]: ينظر: شبكة ويكيبيديا/ جولد تسيهر

ينفي "تسيير" تشريعية القرآن، ويقول بأنه الكتاب المنزل الوحيد الذي به تضارب من بين الكتب الأخرى(التوراة والإنجيل)؛ أي أن ما وصلنا الآن من القرآن غير صحيح وأنه كلام مبعثر لا غير _حسب زعمه_، وأن التوراة والإنجيل صحيحان لا اختلاف فيهما، ويستدل على ذلك باختلاف القراءات القرآنية، إلا أن القراءات القرآنية تختلف حسب الألسن العربية، وهذا وارد عندنا في كتب الحديث، فقد ورد في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:"سَمِعْتُ هِشَامَ بنَ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هو يَقْرَأُ علَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَن أَقْرَأَكَ هذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فإنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ أَقْرَأَنِيهَا علَى غيرِ ما قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ به أَقُودُهُ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلْتُ: إنِّي سَمِعْتُ هذا يَقْرَأُ بسُورَةِ الفُرْقَانِ علَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أرْسِلْهُ، اقْرَأْ يا هِشَامُ فَقَرَأَ عليه القِرَاءَةَ الَّتي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: كَذلكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قالَ: اقْرَأْ يا عُمَرُ فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتي أَقْرَأَنِي، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: كَذلكَ أُنْزِلَتْ إنَّ هذا القُرْآنَ أُنْزِلَ علَى سَبْعَةِ أحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ منه"[2].

ورغم اختلاف هذه الأحرف القليلة في القراءات القرآنية إلا أن معناها لا يختلف، بل يختلف اللفظ فقط ويظاهر بعضها بعضا، وفي مواضع قليلة جدا، وكلها موثقة لدينا في كتب القراءات القرآنية. أما بالنسبة للتوراة فلا يجد القارئ نسخة منه متفقة مع نسخة أخرى من كل وجه. كما أن الإنجيل كذلك اختلفت نصوصه باختلاف رواته من الحواريين، وهذا الإختلاف أو ذاك لا يقتصر على وجوه النطق فقط، ولكنه في اللفظ والمعنى معا، فهو اختلاف تضاد، ذلك هو الجدير بأن يوصف بالإضطراب وعدم الثبات في النص، وليس هذا شأن القرآن، وتبارك الرحمان إذ قال: ﴿اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ اَلْقُرْءَانَۖ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اِللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اِخْتِلَٰفاً كَثِيراًۖ﴾ [النساء 82].

---

[1]: جولد تسيهر: مذاهب التفسير، ، ص4

[2]: صحيح البخاري.كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. (4/1910. 1276)

وهذا فقط قول واحد من أقوال كثيرة يقذف بها الإسلامَ ويحاربه، ولا يمكن سرد كل أقواله لأنها كثيرة وفي مجالات متعددة حول هذا الدين العظيم ولا يكفينا بحث كهذا لسردها. وقد رد عليه علماؤنا في كتب ومقالات لدحض ذلك الإفتراء الذي يرمي به على الإسلام. ومن العلماء الذين ردو عليه نذكر:

- محمد حسن جبل في كتابه"الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية" الذي يوضح فيه تناقضات جولد تسيهر ومنهجه المضطرب في تناول القراءات القرآنية ومغالطاته وزعمه بأن القراءات القرآنية تزداد مع مرور الزمن مع العديد من الأمثلة الموضحة[1].
- الشيخ محمد الغزالي الذي رد على كتاب تسيهر"العقيدة والشريعة في الإسلام" بكتاب عنوانه "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين". وقد اهتم في رده على بعض النقاط الأساسية دون التركيز على أمور أخرى قد تكون ذات أهمية، وهذا ما نلاحظه في فصل تطور العقيدة، حيث اعتمد على علماء وشيوخ معاصرين مثل الشيخ محمد عبده[2].

وقد اشتغل بالرد عليه كم كبير من علماء الإسلام وغيرهم أيضا من العلماء الغربيين الذين ينصفون الإسلام ويرون كمية الطعن المبالغ فيه ضد الإسلام فينكرونها عليه

وكما هو معلوم؛ ففي كل طائفة فاسدوها وصالحوها، و تنطبق هذه القاعدة على المستشرقين كذلك، فرغم كل هذا العداء الذي يكنه جل المستشرقين للإسلام، إلا أن هناك قليلا منهم ينظرون إلى الإسلام نظرة عادلة ، ويحللونه بموضوعية و إنصاف ، ومع ذلك لم يسلموا من بعض الأخطاء ـ التي لا تضر ـ، فهي أخطاء في فهم اللغة العربية أو ما ترجم إلى لغتهم .

1: ينظر د.محمد حسن حسن جبل: الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية. ص69 وما بعدها

2: ينظر:دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، ص 90 وما بعدها.

ومن هؤلاء المنصفين أذكر المستشرقة الألمانية "**زيغريد هونكه**" التي ولدت سنة 1913م بمدينة كيل، وهي ابنة الناشر هاينريش هونكه، وزوجها هو المستشرق الألماني شولتزا. درست هونكه علم أصول الأديان ومقارنة الأديان، والفلسفة، وعلم النفس، والصحافة[1].

تناولت هونكة دراسة الأديان بموضوعية تامة، وتعرف بإعجابها بالإسلام والعربية، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية وسقوط ألمانيا، حيث جاءت إلى المغرب وعاشت سنتين في طنجة، ثم رجعت إلى ألمانيا واستقرت في بون، لتقوم بتأليف كتبها المشهورة بإنصاف العرب والمسلمين لاسيما الأندلسيين، مما أدى إلى تعرضها لحملات استياء في موطنها، جعلتها تنضم إلى بعض الجمعيات الوطنية الألمانية لكف الأذى عنها.

وقد تعلمت هونكه اللغة العربية وأتقنتها، و أخذت في قراءة الكتب العربية والتاريخ العربي وبالأخص الأندلسي. وقد نالت العديد من الجوائز في حياتها التأليفية، كما قام بعض الرؤساء والأمراء العرب بدعوتها وتكريمها على مجهوداتها الجبارة في تحسين صورة الإسلام لدى الغربيين.

ومن مؤلفاتها :

- "شمس الله تسطع على الغرب" والذي حقق سنة 1960م ذروة نجاح هائل، إذ تم بيع أكثر من مليوني نسخة، وترجم إلى 17 لغة عالمية كانت آخرها اليابانية.

- "الله ليس كذلك" و قد أماط هذا الكتاب اللثام عن ألف حكم مسبق عن العرب والمسلمين ، كشفت من خلاله بأسلوب علمي -يعتمد على الحجج والبراهين- على كثير من الأحكام ، و التحويرات التاريخية ، والأقوال الخاطئة المقصودة التي وظفتها بعض الدوائر التي تعمل على تأجيج الصراع بين الحضارات والثقافات ، في نطاق ما يعرف بظاهرة الإسلامفوبيا[2].

ومن أشهر أقوالها:

---

[1]: ينظر شبكة ويكيبيديا/ زيغريد هونكه

1: الإسلامفوبيا: التحامل والكراهية والخوف من الإسلام أو من المسلمين.

- تقول : "{لا إكراه في الدين}: تلك هي كلمة القرآن الملزمة ، فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي ، و إنما بسط سلطان الله في أرضه ، فكان للنصراني أن يظل نصرانيا ، ولليهودي أن يظل يهوديا ، كما كانوا قبل ، ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم ، ولم يكن أحد ليُنزل أذى أو ضررا بأحبارهم أو قساوستهم و مراجعهم ، و بيعهم و صوامعهم وكنائسهم"[1].
- وقالت أيضا : "و بينما عاشت النصرانية في ظل الحكم الإسلامي قرونا طوالا - في الأندلس.. و في صقلية.. و البلقان- فإن انتصار النصرانية على الإسلام - في الأندلس سنة 1492م- لم يعن سوى طرد المسلمين واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصر، و استئناف نشاط محاكم التفتيش التي قامت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية دينا، والحرق العلني في احتفالات رسمية تحفها الطقوس والشعائر الكنسية لكل من اعتنق الإسلام أو اليهودية"[2].

وهكذا كانت زيغريد هونكه منصفة كل الإنصاف للإسلام و حضارته في كل ما كتبت من كتب و أبحاث ، و لم يمنعها انتماؤها للغرب و حضارته أن تقول كلمة الحق ، و تعلي من شأن الإسلام دون محاباة أو تحيز.

2: زيغريد هونكه : الله ليس كذلك: ص 40 . 41

2: زيغريد هونكه: الله ليس كذلك، ص20

المبحث الرابع: بداية النقد الإستشراقي للسيرة النبوية

لم تسلم سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من الهمز واللمز، والطعون والشبهات، والمزاعم والأخطاء، والتناقضات والإنكار، من قبل رهط من المستشرقين الذين تعرضوا لحياة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وهذه السمات هي مجمل المواقف من سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وسنته المطهرة، في متنها وسندها، الذي تنفرد به الثقافة الإسلامية في التحقق من الرواة الثقات من أهل الحديث الشريف، مما أوجد علمًا من علوم الحديث الشريف، اصطلح على تسميته بعلم: الجرح والتعديل.

يقول "ألويس شبرنجو" في مقدمة بالإنجليزية لكتاب 'الإصابة في تمييز الصحابة': "لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة، أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم الخطير الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم"[1]، ويؤيد "موريس بوكاي" هذه الشهادة بقوله - حول تدوين الحديث واشتغال المسلمين فيه- : "كان همهم الأول في عملهم العسير في مدوناتهم منصبًّا أولًا على دقة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثه في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، وبكل قول من أقواله، وللتدليل على ذلك الإهتمام بالدقة والضبط لمجموعات الأحاديث المعتمدة، فإنهم قد نصوا على أسماء الذين نقلوا أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وذلك بالصعود في الإسناد إلى الأول من أسرة النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحابته ممن قد تلقوا هذه المعلومات مباشرة من محمد صلى الله عليه وسلم نفسه، وذلك بغية الكشف عن حال الراوي في جميع سلسلة الرواية، والإبتعاد عن الرواة غير المشهود لهم بحسن السيرة وصدق الرواية ونحو ذلك من دلائل ضعف

[1]: نقلا عن محمد صدر الحسن الندوي، المستشرقون و السنة النبوية ص434

الراوي الموجبة لعدم الإعتماد على الحديث الذي روي عن طريقه، وهذا ما قد انفرد به علماء الإسلام في كل ما روي عن نبيهم صلى الله عليه وسلم"[1].

تلك هي أبرز المواقف الإستشراقية من السنة النبوية والسيرة العطرة، التي انتقلت إلى أيامنا هذه، وبلغات غربية متعددة، أبرزها وأقدمها اللغة الإسبانية، حيث يعود التأليف بها حول نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى القرن الثالث الهجري، بداية القرن التاسع الميلادي (807م)، وكان أول من أدخل هذه العلوم إلى إسبانيا السوري

صعصعة بن سلام (807م)[2]، واللغة الفرنسية في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي كذلك[3]، وتستقيان أدبيات الهجوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتابات بيزنطية، منقولة عن سابقة لها سورية، كما يقول أليكس جوافسكي[4].

ثم تأتي اللغات الأخرى؛ إذ تعود العناية بالسيرة النبوية في هذه اللغات الأخرى، غير الإسبانية، إلى قبيل قيام الحروب الصليبية 491 - 690هـ الموافق 1098 - 1291م، كما في اللغة الإنجليزية، واللغة الروسية، حينما ظهر كتاب المفكر الروسي ذي الخلفية المسيحية سوليفري: "محمد: حياته وتعليمه الديني"، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وكتاب آخر ألفه نيكولاي ترونافو جاء عرضًا لمبادئ الشريعة الإسلامية سنة 1850م، ثم اللغة الألمانية، واللغة المجرية، حيث انطلقت الكتابات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدءًا بما كتبه جيرمانوس جولا، الذي أسلم وغير اسمه إلى عبدالكريم جرمانوس، وذلك سنة 1351هـ الموافق 1932م.

---

[1]: ينظر: موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص275

[2]: ينظر: محمد بن عبد القادر برادة: دراسات اسبانية للسيرة النبوية،ص8

[3]: ينظر: حسن بن إدريس عزوزي: الإهتمام بالسيرة النبوية باللغة الفرنسية: عرض وتحليل، ص67

[4]: ينظر: أليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص73

ثم ظهرت اللغة العبرية لتسهم في سلسلة الطعون والشبهات لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنته، مستقية هذه الطعون والشبهات من اللغات الأخرى، لترسيخ مفهوم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد بنى هذا الدين على التعاليم اليهودية والمسيحية، كما يدعي رهط من المستشرقين، لاحقهم عالة على سابقهم[1].

[1]: ينظر: موسى البسيط: رد الطعون عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، ص112

الفصل الثاني: النقد الإستشراقي لمرويات السيرة النبوية من خلال كتاب "محمد في مكة" لويليام مونتجمري وات

المبحث الأول: منهجية "كتاب محمد في مكة" وتصميمه

المبحث الثاني: مصادر وات لدراسة السيرة النبوية

المبحث الثالث: قواعد منهج وات لدراسة السيرة النبوية

المبحث الرابع: بعض قضايا السيرة النبوية في فكر وات

مدخل

مونتجمري وات: هو ويليام مونتجمري وات، ولد في كريس فايف في 14 مارس 1909م، والده القسيس أندرو وات. درس في كل من أكاديمية لارخ 1914ـ 1919م وفي كلية جورج واتسون بادنبرة وجامعة ادنبرة 1927ـ 1930م وكلية باليول بأوكسفورد 1930ـ 1933م و جامعة جينا بألمانيا 1933م. عمل راعيا لعدة كنائس في لندن وفي ادنبرة و متخصص في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس، وبعد تقاعده عاد إلى العمل في المناصب الدينة[1].

ومما سبق ذكره يتضح أن وات قد أمضى حياته في دراسة العلوم الإسلامية والعربية دراسة متعمقة. ويشهد له بذلك، هذه المؤلفات التي حصلت عليها، وسأذكرها:

1ـ "محمد في مكة"

2ـ "محمد في المدينة"

3ـ "محمد النبي ورجل الدولة"

4ـ "الفلسفة الإسلامية والعقيدة"

5ـ "الفكر السياسي الإسلامي"

6ـ "موجز تاريخ الإسلام"

[1]: شبكة ويكيبيديا الحرة/مونتيجمري وات

المبحث الأول: منهجية كتاب "محمد في مكة"

توزعت مفردات كتاب "محمد في مكة" على ستة فصول وخاتمة وملاحق، ويتفرع من كل فصل عدد من المواضيع، وسبق الفصول الستة دراسة في المصادر العربية والإسلامية والإستشراقية، التي استقى منها النصوص.

وكان الفصل الأول بعنوان "الخلفية العربية"، درس فيه وات شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي من جوانبها الإقتصادية والسياسية الإدارية، وناقش فيه آراء الكتاب الغربيين منهم أمثال "لامانس"، "تويبني"، و"نولدكه"، وركّز على النزعات التوحيدية في المنطقة مستعينا بالنصوص القرآنية.

وتناول في الفصل الثاني "بواكير حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعوة الإسلامية، فابتدأ بنسبه الشريف ومولده وتربيته صلى الله عليه وسلم، وقد استقى نصوصه من مؤرخ السيرة النبوية "محمد بن إسحاق" -رحمه الله- ، فتناول زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وما أنجبته من أبناء . ثم انتقل إلى عصر الرسالة ، على وفق رواية "محمد بن مسلم الزهري" في موضوع الوحي ، مستعرضا آراء المستشرقين في هذا الجانب، وما أورده "ابن إسحاق" في تفسير الآيات الخاصة بالوحي.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان "الرسالة الأصلية (جوهر الرسالة)" ، وقد بدأه وات بتاريخ القرآن الكريم، مشيرا إلى من سبقه في الكتابة من أمثال "نولدكه" و "ريتشارد بل" ، وبدأ دراسة مضامين الآيات الأولى واضعا نصب عينيه كتاب المستشرق "نولدكه" محللا به.

وتناول في الفصل الرابع "المسلمين الأوائل"، معتمدا على روايات الإمام "الطبري"، ولكنه رجح روايات "ابن إسحاق" على غيرها من الروايات، وأخذ وات يوزع الصحابة على القبائل العربية وفق انتسابهم لها، مبتدئا ببني هاشم. وقد اعتمد وات على قوائم المستشرق "كايتاني" في الحوليات المستمدة من كتاب "الطبقات الكبرى" ل"محمد بن سعد"، وكان يشير إلى الرجال الذين أسلموا من كل قبيلة، وكان في الوقت نفسه يعطي صورة لمكانة القبيلة الإجتماعية ، وتعرض كذلك إلى المستضعفين من الصحابة.

وخصص وات الفصل الخامس لل"معارضة التي شهدتها الدعوة الإسلامية، معتمدا على روايات "الطبري" عن "هشام بن عروة"، و" أبي العالية، وحينما تعرض لهجرة المسلمين اعتمد على رواية "هشام" عن "ابن إسحاق"، وناقش آراء المستشرق "كايتاني" حول بعض الروايات، وأعطى سببا لهجرة المسلمين إلى الحبشة، بعد تحليله للنصوص المقتبسة من سيرة "ابن هشام"، و"ابن سعد"، و"الطبري".

وجاء الفصل السادس من الكتاب بعنوان "امتداد الآفاق"، وتعرض فيه وات إلى خطورة الموقف على النبي صلى الله عليه وسلم، بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجه خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها- ، فأضحت مدينة الطائف المثل الأول لهذه الخطورة التي أشار إليها وات بقولة: "صورة مصغرة لمكة". وتبدأ بعد ذلك المفاوضات مع أهالي المدينة، فوصف وات وضعها الإجتماعي والإقتصادي، وتحدث عن بيعة العقبة.

وعند ذلك تنتهي فصول الكتاب؛ ليضع بعد ذلك وات ملاحق لكتابه، وأعطى لكل ملحق مسمى معينا، فقد تعرض لملحق "الأحابيش" في مقالة "لامنس" و التي تحمل الإسم نفسه، فكان يأخذ برأيه تارة، ويرفضه تارة أخرى. واستعان بنصوص استقاها من "الواقدي" و"ابن هشام" وابن سعد".

وفي الملحق الذي سماه "التوحيد العربي والتأثيرات اليهودية والمسيحية"، تناول آراء المستشرق "مارغو ليوث" في مقالته عن أصول الشعر العربي، وآراء "توري" في كتاب "الأساس اليهودي للإسلام"، وهذا الموضوع قد أطنب فيه كثير من المستشرقين. وحملت الملاحق الأخرى موضوع " الحنفاء"، و الأحاديث المنقولة عن عروة بن الزبير -رضي الله عنه-، وكان قد شك في بعضها.

المبحث الثاني: مصادر وات لدراسة السيرة النبوية

قيل قديما: "الفضل للمبتدئ وإن أحسن المتلقي..."

من الطبيعي أن يكون للباحث سنده فيما يقول، ومن الطبيعي أيضا أن تأتي أفكاره وإبداعاته وليدة للمصادر التي اعتمد عليها، والمراجع التي رجع إليها في كتابة بحثه، وما من شك في أن مصادر أية دراسة هي أحد معايير الحكم عليها، و أولى عوامل نجاحها.

فما هي مصادر التي اعتمد عليها وات في دراسته لسيرة النبوية؟

"المصادر الإسلامية و المراجع الإستشراقية": يمكننا تقسيم المصادر التي اعتمد عليها وات إلى قسمين

المصادر الإسلامية:

1- القرآن الكريم

القرآن الكريم هو أول مصدر اعتمد عليه وات وهذا ما صرح به حين قال :"المصادر الرئيسية عن حياة محمد - صلى الله عليه وسلم- هي القرآن الكريم أو الكتاب الذي يضم الوحي الذي تلقاه من الله"[1].

ومن الملاحظ أن وات لم يكن أمينا في استخدام القرآن الكريم والأخذ منه، فلقد كان استشهاده بآيات القرآن الكريم انتقائيا، فإذا لم تصادم الآية القرآنية فكرة عنده قبلها واستشهد بها، وإذا صادمت فكرة لديه أو شبهة يروج لها استبدلها ولم يشر إليها، كما فعل عند حديثه عن عالمية رسالة الإسلام، فقد قال بإقليمية دعوة

[1]: مونتجمري وات: محمد في مكة ، ص41

الإسلام؛ بناء على استنباطات مادية بحتة، ولم يذكر آية واحدة من آيات العالمية -على كثرتها وشهرتها- بل تعامل معها بالكلية.

ولا مبرر للقول بأن وات لم يمر على آيات العالمية في القرآن؛ لأن كثرة استشهاده بآيات القرآن تؤكد على أنه قرأ -على الأقل- ترجمة كاملة لآيات القرآن الكريم، وقد صرح بنفسه بذلك قائلا: " وقد أخذت معظم استشهاداتي القرآنية من ترجمة ريتشارد بل للقرآن "[1].

وبهذا يلتقي وات مع إخوانه من المستشرقين على كلمة سواء، فقد "استخدم المستشرقون الأوائل على -وجه العموم- خطة عملية في تناولهم للإسلام، تهدف إلى تشويه صورته والتشكيك في مصداقيته، فاستهدفوا القرآن الكريم باعتباره قاعدة الإسلام الكبرى، الذي اجتمع عليه العرب وأحبوه ودانوا لله بحبه"[2].

وقد رجع وات إلى القران الكريم من خلال مطبوعين هما:

"**أولا:** ترجمة "ريتشارد بل" للقرآن الكريم الذي نشر في جزأين 1937م-1934م في ادنبره في بريطانيا، غير أن "ريتشارد بل" فعل شيئا آخر غير الترجمة؛ لقد أعاد ترتيب السور والآيات حسب النزول الأول فالأول

ثانيا: كتاب "اليون كايتاني" الذي حاول ترتيب أحداث السيرة النبوية عاما فعاما، وربط ترتيبه هذا بالآيات القرآنية"[3].

2- الحديث النبوي

أما المصدر الثاني من مصادر دراسة وات للسيرة النبوية، فكان الأحاديث النبوية، وقد صرح بذلك حين قال: "كما يجدر بنا أن نذكر أيضا مجموعة الأحاديث أو الروايات المختلفة لأقوال محمد صلى الله عليه وسلم مثل صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد بن حنبل فإن هذه الكتب تحتوي على مادة تهم المهتم بالتاريخ"[1].

---

[1]: مونتغمري وات: محمد في مكة، ص39

[2]: د. محمد أبو ليلة: القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي -دراسة تحليلية- ص401

[3]: مونتجومري وات: محمد في مكة، مقدمة المترجم،10.11

والسؤال هنا أيضا هل تعامل وات مع مصادر الحديث بأمانة؟

لم يتعامل وات مع مصادر الحديث بأمانة، فلقد تعامل معها بأسلوب انتقائي كما فعل مع القرآن الكريم من قبل. وأذكر مثالا على ذلك، وهو حينما تعرض لحديث مسألة أمية النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأهمل تماما رواية البخاري المشهورة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها "ما أنا بقارئ"، والتي تدل -صراحة- على أنه كان أميا، واختار الرواية التي وردت في بعض كتب السيرة، والتي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما أقرأ". ولأن وات لا يقول بأمية النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد جعل "ما" في قوله "ما أقرأ" استفهامية، ولم يجعلها نافية؛ لأن كونها استفهامية، تقوي -حسب زعمه- القول بقدرة النبي صلى الله عليه وسلم على القراءة؛ ولأنها تعني: "ماذا تريد مني أن أقرأ؟"

وهذا التأويل فيه تعسف شديد، كما أنه مخالف تماما لرواية البخاري - الأصح- ، وهي قوله صلى الله عليه وسلم :"ما أنا بقارئ"، والتي تنفي علم النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة؛ ولذلك رجح وات رواية "ما أقرأ"، وفسرها على أنها تعني "ماذا أقرأ"، فقال: "وهذا هو المعنى الأصلي. غير أن بعض الفقهاء المتأخرين ألحوا على عجز محمد (صلى الله عليه وسلم) عن القراءة كتأكيد لعقيدة إعجاز القرآن؛ ولذلك نجد روايات فيها الكلمات ليعني قوله "لا أستطيع القراءة" "ما أنا بقارئ"، هكذا استُغلت القصة لتأييد نظرة فقهية"[2].

3- كتب السير والمغازي:

وقد اعتمد وات كذلك على بعض كتب السير والمغازي،كسيرة "ابن إسحاق" مع "ابن هشام"، ومغازي "الواقدي"، وطبقات "ابن سعد".

4- كتب التاريخ الإسلامي:

---

[1]: مونتجمري وات: محد في مكة، ص42

[2]: ينظر: مونتجمري وات، محمد في مكة، ص13

كما اعتمد وات على بعض كتب التاريخ الإسلامي، وأختار منها كتاب "تاريخ الرسل و الملوك" للإمام "الطبري".

5- كتب التفسير:

ونجد وات قد اختار لبحثه من كتب التفسير؛ كتاب "جامع البيان في تأويل القرآن" للإمام "الطبري"، وهذا التفسير يشوبه بعض ما فيه من غرائب وشواذ وشطحات، ومما أخذ على هذا التفسير أن فيه "أباطيل كثيرة يردها الشرع، ولا يقبلها العقل"[1].

المراجع الإستشراقية

"إن المستشرقين اعتمدوا على سابقيهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين، وهذا أمر وارد؛ إذ إن المتأخرين من المستشرقين ينظرون لسلفهم من علماء المسلمين نظرة إجلال وإكبار"[2].

1 - كتابات القس "لامانس":

لقد اعتمد وات على بعض كتابات "لامانس" في السيرة النبوية، وهذا القسيس معروف بعدائه الشديد للإسلام، ومعروف بعدم الموضوعية والأمانة في البحث العلمي.

ومن المؤسف أن "شهرته العلمية قد خدعت الكثيرين فأحسنوا الثقة به، مع أن إسناداته الكثيرة التي يُثَبتها في آخر كل صحيفة؛ إنما هي من قبيل التمويه على القارئ، والحقيقة أنها لا قيمة لها"[3].

كما أن دراساته تتسم بأنها "شديدة التعصب ضد الإسلام، ويفتقر افتقارا تاما إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجا سيئا جدا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين... وصنف في السيرة كتاب "مهد الإسلام"، وكتاب "مكة عشية الهجرة"[1].

---

[1]: د. محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث.ص99

[2]: علي إبراهيم النملة: الإستشراق والدراسات الإسلامية -مصادر الإستشراق والمستشرقين ومصدريتهم- ص29

[3]: عبد الحليم محمود: أوربا والإسلام، ص128

وكلاهما وقع في شَرَك التلفيق و الإضافة حسب الهوى و الرغبة ف"لقد تحامل لامانس على السيرة النبوية تحاملا شديدا، زاعما أن القرآن وحده هو الذي يعتمد عليه في بيان السيرة النبوية، وأن كتب الحديث كلها موضوعة من أجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النبي صلى الله عليه وسلم"[2].

وقد رجع وات كثيرا إلى كتاب لامانس "مكة عشية الهجرة"، خاصة فيما يتعلق بمرحلة الدعوة في الفترة المكية.

2 – كتابات القس ليون كايتاني

كما اعتمد أيضا على كتاب ليون كايتاني في السيرة النبوية، "ويعتبر هذا الكتاب ترجمة للقرآن الكريم بطريقة مبتكرة، وفي هذا الكتاب حاول كايتاني ترتيب أحداث السيرة عاما فعاما، وربط هذا الترتيب بالآيات القرآنية فكأنما جعل السيرة إطارا عامّا، ثم راح يبحث عن الآيات أو السور التي تناسب كل واقعة أو حادثة ووضعها مرتبطة بها، سواء كان ذلك بناء على مصادر إسلامية أو استنتاجات بالشواهد و القرائن والتخمينات"[3].

واشتهر كتاب لكايتاني هو كتاب "حوليات الإسلام"، وهو الذي أخذ منه وات كثيرا من الآراء ، وهذا الكتاب يعتبر "أوسع تاريخ للإسلام في عصر النبي صلى الله عليه وسلم و الخلفاء الراشدين،وقد أرخ في هذا الكتاب للإسلام من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى نهاية الدولة الأموية في سنة 132هـ. لكنه لم يستطع أن ينجز منه إلا تاريخ الفترة من السنة الأولى للهجرة حتى السنة الأربعين، وهذا الكتاب أشبه بتاريخ الطبري و ابن الأثير، فقد كان يورد تحت كل سنة الحوادث بحسب كل المصادر المتوفرة"[4].

3 – كتابات القس ريتشارد بل

من أشهر أعمال "بل" ترجمته للقرآن الكريم، ولم تكن هذه الترجمة على غرار الترجمات السابقة، بل"فعل شيئا آخر غير الترجمة. لقد أعاد ترتيب السور و الآيات مسلسلا إياها حسب النزول، الأول فالأول، وأعطى

---

[1]: د.عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين. ص503

[2]: د.عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ص504

[3]: مونتجومري وات: محمد في مكة؛ مقدمة المترجم،ص11

[4]: د.عبد الرحمان بدوي :موسوعة المستشرقين، 494،493 بتصرف يسير دون مساس بالألفاظ

لآيات و السور ترقيما بالحروف كالآتي، (A) أول ما نزل، (B) باكره؛ أول ما نزل بمكة، (C) مكي بشكل عام، (D) آخر الحقبة المكية، (E) مدنية باكره، (E+) مدنية بشكل عام، (F) مرتبطة بغزوة بدر، (G) مرتبطة بغزوة أحد، (H) حتى الحديبية، (I) بعد الحديبية، (J) منسوخة. ومعنى هذا أن بل رجع لكتب التفسير كلها، وكتب السيرة، وكتب أسباب النزول، ليقوم بهذا العمل المرهق"[1].

وهدف بل من هذه الترجمة؛ كهدف الأغلبية الساحقة من المستشرقين، وهو: "تحريف كَلِمِهِ و تصحيف معانيه للوصول إلى أهداف محددة وملتوية، بعيدة عن النص في لغته و فحواه"[2].

4 – كتابات نولدكه

قال الدكتور عبد الرحمان بدوي عن نولدكه: "وهو شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع"[3].

وقد اعتمد وات على كتاب نولدكه "تاريخ القرآن"، وأخذ منه أفكاره للدفاع عن آرائه، وهذا الكتاب من أشهر كتب نولدكه، وهو قريب -نوعا ما- من كتاب بل من حيث التقسيم، "فقد قسم نولدكه سور القرآن إلى مكية ومدنية، وقسم السور المكية إلى ثلاثة أقسام، هي سور الفترة المكية الأولى، وسور الفترة المكية الثانية، وسور الفترة المكية الثالثة، ولم يقسم السور المدنية إلى فترات ، بل جعلها كلها في مرتبة واحدة"[4].

5 – كتابات فلهاوزن

وأشهر كتب فلهاوزن في السيرة النبوية هو كتاب "تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية"، وهذا الكتاب هو الذي اعتمد عليه وات في دراسته للسيرة النبوية.

---

[1]: مونتجمري وات: محمد في مكة؛ مقدمة المترجم.ص10

[2]: د.محمد محمد أبو ليلة: القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي -دراسة نقدية تحليلية- ص401

[3]: د.عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين. ص595

[4]: ثيودور نولدكه: تاريخ القرآن: مقدمة المترجم ص24

يقول فلهاوزن في كتابه: "وحاول محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يظهرهم (اليهود) بمظهر المعتدين الناكثين للعهد، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية، أو أقصى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، وقد التمس لذلك أسبابا واهية"[1].

وهذا تحامل واضح من فلهاوزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهو تحامل لا مبرر له سوى الحقد الدفين على الإسلام وعلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. ولقد نهج وات نهج فلهاوزن من خلال اقتباسه من أقواله.

6 – كتابات جولد تسيهر

هذا المستشرق قد سبق وتحدثت عنه وعن كتاباته، وقد بينت مدى عداوته للإسلام و المسلمين، وكمية الحقد التي يمكن للقارئ أن يلاحظها بوضوح من خلال كتاباته. وقد اعتمد وات على كتاباته لاستخراج بعض من مادته العلمية، و الإستدلال على آرائه في مواضع مختلفة من كتابه.

7 – كتابات شاخت

وهو أيضا مستشرق معروف بتحامله على الإسلام، يقول عنه الدكتور مصطفى السباعي: "ألماني متعصب ضد الإسلام و المسلمين، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله، من محرري (دائرة المعارف الإسلامية)، وأشهر كتبه ؛ كتاب "أصول الفقه الإسلامي" "[2].

واعتمد وات على كتاب "أصول الفقه الإسلامي" كثيرا ، و أكثر منه رجع إلى كتاب "أصول الشريعة المحمدية ورجع أيضا إلى مقالاته في دائرة المعارف الإسلامية.

[1]: فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية. ص19

[2]: د.مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون(ما لهم وما عليهم). ص49

8 – كتابات فنسنك

وللأسف فإن وات قد اعتمد على كتابات فنسنك ، وهو أيضا كسابقيه من مبغضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشانئيه، فهو معروف بأنه "عدو لدود للإسلام ونبيه (صلى الله عليه وسلم)، وكان عضوا بالمجتمع اللغوي المصري، ثم أُخرج منه إثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهواري مؤلف كتاب "المستشرقون والإسلام" الذي صدر في سنة 1936م، وحدث بعد ذلك أن نشر فنسنك رأيه في القرآن والرسول (صلى الله عليه وسلم) ، مدعيا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو الذي ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية، و الفلسفة التي سبقته. هذا و المعروف لفنسنك كتاب تحت عنوان "عقيدة الإسلام" صدر سنة 1932م"[1].

9 – كتابات بولين

لقد اعتمد وات - عند دراسته للوحي المحمدي- على نظرية المستشرق بولين، وطبق نظريته -المتعلقة بالكلام الداخلي- على وحي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد أعلن وات أنه أخذ عن بولين ؛ فقال: "وسيكون من المفيد فيما يتعلق بهذه النقطة أن نقدم بعض المصطلحات الفنية التي استخدمها بولين في مبحثه (عظمة الصلاة الداخلية)، فسيكون كافيا لأغراض بحثنا الآن"[2].

[1]: د.مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم). ص44،45

[2]: مونتجومري وات: محمد في مكة.ص124

المبحث الثالث: قواعد منهج وات لدراسة السيرة النبوية

مدخل:

لقد درس بعض المستشرقين وقائع السيرة النبوية ، وحللوا نتائجها ، لكن دراستهم لها لم تقم على منهج علمي سليم يستمد مقوماته من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وإنما قامت على المناهج الغربية الحديثة التي تقدس المادية وترفعها ، وتزدري الروحانية وتقمعها ، بحيث لا يجد القارئ في كتاباتهم عن السيرة النبوية إلا تحليلات مادية بحتة ؛ ولذا كانت كتاباتهم مجرد حبر على ورق .

" إن الصرح الذي شيده المستشرقون في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إنما هو صرح من الورق قد أقيم على شفا جرف هارٍ، والسبب في ذلك واضح ، ذلك أن المستشرقين لم ينهجوا الخطة المثلى فيما ينبغي أن يعتمدوا في السيرة النبوية .. إن كاتب السيرة النبوية يجب عليه أن يتجرد عن الشهوة والهوى والعصبية ، ويبدأ في دراسة الموضوع نافضا عن رأسه كل ما أوحته إليه الكنيسة من أباطيل عن الإسلام . وإذا لم يفعل ذلك فإن ما سيكتبه سيكون - لا محالة - وهما باطلا "[1].

فهل تجرد هؤلاء المستشرقون عن الهوى في دراستهم للسيرة النبوية المحمدية ؟؟

إن الواقع يشهد بأن معظم دراستهم لم تكن موضوعية ؛ ولذا لم تكن مثمرة .

[1]: أتين دينيه : محمد رسول الله ص 47 وهذا الكلام للدكتور عبد الحليم محمود في مقدمة هذا الكتاب

يقول أتين دينيه وهو مستشرق مسلم ، مقدما نصيحة للمستشرقين المتعصبين : " إذا شاء المستشرقون أن تكون جهودهم مثمرة ، فلينصرفوا عن إضاعتها في محاربة المنقول الذي هو أسمى من أن يوازيه شيء ، إلى شرح هذا المنقول وإحيائه بدرس نفسية العرب درسا علميا غير سطحي "[1].

هذا وإن وات من هؤلاء المستشرقين الذين لم يلتزموا الحيدة في المنهج العلمي ، مع أنه هو الذي قطع عهدا على نفسه في أول الكتاب بالتزام المنهج العلمي المحايد فقال:" ولقد حاولت المحافظة على الحياد في المسائل اللاهوتية (الدينية) التي يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام ، فمثلا لتجنب الجزم بما إذا كان القرآن كلام الله أم لا، فقد تحاشيت استخدام التعبير (يقول الله) أو (يقول محمد) واستخدمت التعبير (يقول القرآن)، ومع ذلك فإنني لا أتبنى المنظور المادي بحجة التزامي بالنزاهة التاريخية، فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد "[2].

وحتى بعدما قال وات هذا الكلام -الذي يبدو موضوعيا- فإن القارئ يلاحظ أن هذا مجرد ادعاء. فإن وات لم ينسب القرآن إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقل: (قال محمد) إلا أنه في الوقت ذاته لم يقل: (قال الله تعالى)؛ لأنه لا يؤمن -ابتداء- بأن القرآن كلام الله.

ومن هنا ، فإنه يسهل استخراج "قواعد منهج وات " من خلال كتابه "محمد في مكة" .

يتسم منهج وات في دراسته للسيرة النبوية بعدة سمات(قواعد)، منها :

(التأثر، الشك، النفي، الافتراض، اعتماد الضعيف الشاذ، التفسير المادي، الإسقاط، التناقض، تقديم المصادر الإستشراقية على المصادر الإسلامية)

أولا: منهج التأثر

[1]: أتين دينيه : محمد رسول الله ص 57

[2]: مونتجومري وات: محمد في مكة .ص40

يعني التأثر هنا: "الأخذ بالنزعة التأثيرية، وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا ردّ كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية"[1].

إن السواد الأعظم من المستشرقين يرد معطيات السيرة النبوية إلى أصول يهودية أو نصرانية؛ ذلك أن معظمهم إما نصارى "من طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات اللاهوت، وإنهم إن تطرقوا إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام، حاولوا جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني. وإما يهود يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي إلى أصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء"[2].

وكتاب وات "محمد في مكة" يزخم بمنهج التأثر، وهذه بعض الأمثلة:

1ـ حين يتكلم وات عن تأثر النبي صلى الله عليه وسلم بورقة بن نوفل يقول: "إن محمدا كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي، و الأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة... فإن ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، وكان معروفا بدراسته للأناجيل"[3].

2ـ كما يدعي وات أن السيدة خديجة رضي الله عنها قد تأثرت دينيا ـ هي الأخرى ـ بابن عمها ورقة بن نوفل؛ فيقول: "ويكاد يكون من المؤكد أن خديجة قد تأثرت به"[4].

3ـ كما يقول: "وكانت فكرة الوحي والنبوة بالتأكيد، أفكارا يهودية ومسيحية"[5].

نلاحظ أن وات قد رد عقيدة التوحيد، والنبوة كلها، بل ومحتوى الدين الإسلامي كله إلى أصول يهودية ونصرانية؛ وهذا هو مغزى هذا المنهج.

---

[1]: د.حسن عزوزي: آليات المنهج الإستشراقي في الدراسات الإسلامية. ص26

[2]: جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام ـالسيرة النبويةـ ص10

[3]: مونتجمري واط: محمد في مكة، ص121

[4]: السابق. ص101

[5]: السابق. ص169

ثانيا: منهج الشك

نقصد بالشك عند وات ؛ الشك الديكارتي المفرط وهو: "ذلك الشك الشامل الذي يمتد كل شيء، وهو شك نظري ومنهجي لا يصلح أن يطبق في الحياة العلمية"[1].

فإن وات لا يشكك في الروايات تشكيكا منهجيا يبغي منه استخلاص الحق من بين ركام الباطل، وإنما يشكك تشكيكا مرسلا لمجرد أنها تخالف رؤيته الإستشراقية المسبقة.

وليس من المبالغة القول بأن كتاب وات هذا (محمد في مكة) مبني ـ في الأساس ـ على الشك في مسلّمات وبديهيات وأبجديات الإسلام. وحتى لا يتحول الكلام إلى مجرد اتهامات؛ أذكر مثالين على ذلك:

1ـ يشك وات في مرحلة الدعوة الإسلامية الأولى ـ عموما ـ فيقول: "هناك شك في كثير مما ينسب إلى هذه المرحلة (مرحلة الإعداد) في الروايات التقليدية"[2].

2ـ كما يشك في ظاهرة الوحي المحمدي فيقول: "فهناك الكثير مما هو غير مؤكد حول الظروف المحيطة بنزول الوحي على محمد (صلى الله عليه وسلم) "[3].

هذان المثالان فقط نقطتان في سيل كبير مما شك فيه وات وشكك من أمور السيرة النبوية، فهو لم يستطع الفكاك من أسار الفكر الغربي الذي بث في غالبية المستشرقين روح العداء لصاحب السيرة النبوية صلى الله عليه وسلم، وراح يثير دوامة من الشكوك في معظم وقائع السيرة النبوية.

ثالثا: منهج النفي

أما منهج النفي فهو "منهج يهدف إلى نفي الحقائق والوقائع التاريخية، ويتم ذلك من خلال إثارة الشكوك، و المبالغة في النقد إلى حد الإلغاء، والنفي الكيفي لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الإستشراقية"[1].

---

[1]: مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، ص105

[2]: مونتجومري وات: محمد في مكة 118

[3]: السابق، ص121

فالمستشرق يلجأ إلى نفي الوقعة التي لا تتماشى مع أفكاره وآرائه عن الإسلام، ثم يضع مكانها افتراضات تتوافق مع أفكاره ومعتقداته الفاسدة، وهذا ما فعله وات..

1ـ فقد نفى بعض الوقائع الثابتة، مثل تعرض القلة المؤمنة للتعذيب في مكة فقال: "إن اضطهاد المسلمين كان من النوع المعتدل، ولم يكن يتضمن أية أفعال تمنعها الأعراف منعا حادا... لكننا لا نكاد نجد شيئا يستحق أن نسميه اضطهادا"[2].

2ـ كما ينفي وجود العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة بالرغم من مخالفة ذلك لكل الروايات، فيقول: "وربما كانت الإشارة إلى موقف العباس عم النبي (صلى الله عليه وسلم) إشارة يمكننا رفضها... فإن هذا قول غير صحيح"[3].

وبهذا فقد وقع وات ـ بسبب تبنيه منهج النفي ـ في مخالفة بعض الروايات الصحيحة الموجودة في كتب السيرة، لا لِعلة حديثية فيها وإنما لأنها ـ إن ثبتت ـ ستهدم فكرة مسبقة عنده.

رابعا: المنهج الافتراضي

يعرف الإفتراض عند المستشرقين أنه: "افتراض ترتيبات جديدة يحكمها الهوى المجرد للخروج بنتائج خطيرة واتخاذها مدخلا للطعن والتضارب"[4].

ولا يمكن أن يقول أي عاقل بأن المنهج الإفتراضي الذي يقوم به المستشرقون في دراساتهم، يقوم على فروض موضوعيه، بغية الحصول على الحق المنشود بدليله، وهذه نماذج من افتراضات وات.

1

---

[1]: د.حسن عزوزي: آليات المنهج الإستشراقي في الدراسات الإسلامية، ص45

[2]: مونتجمري وات: محمد في مكة،ص245

[3]: السابق، ص292

[4]: حسن عزوزي: آليات المنهج الإستشراقي في الدراسات الإسلامية :ص30،31

ـ يفترض وات أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب من جعفر بن أبي طالب ومن معه من مهاجري الحبشة الرجوع إلى المدينة، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم ـ حسب افتراضه ـ:"أراد أن يدعم ـ على نحو خاص ـ وضعه بالحصول على تأييد المجموعة الصغيرة التي مازالت في الحبشة"[1].

2ـ يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم مفترضا :"يمكننا أن نفترض أنه كان يدين بالتوحيد المبهم الذي كان عليه أغلب المتنورين من أهل مكة، ولكن لابد أنه كان بالإضافة إلى ذلك يتطلع إلى نوع من الإصلاح في مكة"[2].

3ـ كما يقول :"يمكننا أن نفترض أن توجيهات محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه، كانت حثا وتشجيعا ونصحا وليست أوامر"[3].

ولقد أحصيت عدد المرات التي قال فيها وات عبارة "ونفترض" في كتابه هذا؛ فوجدته قالها إحدى وعشرين مرة، وإن في هذا لدليل على أن دراسته تلك قامت على الإفتراض ابتداء لا على اليقين.

خامسا:منهج اعتماد الضعيف الشاذ

أما اعتماد وات على الضعيف الشاذ من الروايات ليؤكد هوى في نفسه فهو كثير، وأشهر مثال على ذلك :

اعتماده على الروايات الموضوعة وتبنيه لها في فرية الغرانيق

وعن إفراط المستشرقين في اتباع هدا المنهج يقول الدكتور إبراهيم اللبان: "إنهم لا يترددون في الإعتماد على الأحاديث الضعيفة، وهم ينقبون في طوايا كتب التاريخ والسير عن أخبار ضعيفة وغير ثابتة، يدعمون بها آراءهم، ولهم صبر لا ينفد في استكشاف هذه المخبوءات، واستغلال الضعيف من الدلالات، ومهما يكن من

شيء فهم لا يستوعبون دراسة ما بأيديهم من المسائل، وكثيرا ما يغفلون النصوص والأخبار التي تناقض ما يقررون"[1].

---

[1]: مونتجومري وات:محمد في مكة ص 236

[2]: السابق. ص110

[3]: السابق.ص290

سادسا: منهج التفسير المادي

ومما يختص به وات؛ كثرة التحليلات المادية لوقائع السيرة النبوية حتى طفت على بحثه، وطغت على فكره، فلا تكاد تمر من تحت يديه واقعة أو حادثة إلا فسرها تفسيرا ماديا، وأهمل تماما الجانب العاطفي، أو الروحاني والإعجازي في السيرة النبوية، ونحن نعلم تمام العلم أن"إحدى الملامح الأساسية التي تميز التفسير الإسلامي عن سائر التفاسير أنه يفرد للبعد الغيبي ـ ماضيا وحاضرا ومستقبلا ـ مساحات واسعة، ويجعله أحد الشروط الأساسية للإيمان؛ بل أهمها على الإطلاق، إذ بدونه لا يمكن أن تتحقق أية تجربة إيمانية"[2].

وهذا الخطأ المنهجي في تفسير وقائع التاريخ ـ والسيرة بلا شك جزء من التاريخ ـ ليس من سمات منهج وات وحده، ولم يكن فيه بدعا من المستشرقين، بل سار عليه جل المستشرقين، حتى صار أهم سمة من سمات الإستشراق العالمي.

وهذا المنهج المادي، إن أمكن استخدامه في تفسير الدراسات الغربية، فإنه لا يمكن تفسير الظواهر الدينية ووقائع السيرة النبوية على ضوئه.

ونذكر من الأمثلة على هذا المنهج في كتاب وات ما يلي:

1ـ قوله : " وليس مما يدعوا للدهشة إذن أن ينجذب بعض الرجال لرسالة الإسلام ـ في المقام الأول ـ من خلال مضامينه السياسية والإقتصادية"[3].

ومما لا يختلف فيه اثنان أن المسلمين في بدايات الإسلام؛ كانوا مستضعفين ماديا و معنويا، ومع ذلك نجد وات يفسر اعتناقهم للإسلام بأنه كان طمعا في مزاياه الإقتصادية و السياسية.

---

[1]: إبراهيم اللبان: المستشرقون والإسلام، ملحق بجامعة الأزهر نقلا عن الدكتور محمود زقزوق :الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص82

[2]: د.عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ. ص132

[3]: مونتجومري وات: محمد في مكة. ص193

كما فسر الهجرة إلى الحبشة تفسيرا اقتصاديا فقال: "إن الهجرة إلى الحبشة كانت ذات أبعاد اقتصادية و سياسية"[1].

وهناك الكثير من التفسيرات المادية لوات، والتي تذهب بروح السيرة النبوية. فيحسب القارئ أنه يقرأ تاريخ مصلح أو مجدد. و مما يثير الدهشة أن وات قد قطع عهدا بعدم تبني المنهج المادي ـ كما سبق و ذكرت ـ . فقال: "ومع ذلك فإني لا أتبنى المنظور المادي بحجة التزامي بالنزاهة التاريخية. فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد"[2]. ولكنه لم يكن عند عهده فأخلفه.

سابعا: منهج الإسقاط

والإسقاط هنا يعني: "إسقاط الواقع المعاصر المعاش على الواقع التاريخي الضاربة في أعماق التاريخ، فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم"[3].

أي أنه يعني باختصار "تصور الذات في الحدث أو الواقعة التاريخية "[4].

ولقد استخدم وات بعض المصطلحات المعاصرة وأسقطها على بعض الوقائع التاريخية، كمصطلح "الصراع الطبقي" ومصطلح "تطور الأديان".

فيقول عن **الصراع الطبقي**: "إن الإسلام لم يتلق دعمه من الطبقات الدنيا من قاع المجتمع، وإنما من أوساط الناس تقريبا الذين أصبحوا على وعي بالتفاوض بينهم وبين أولئك المتربعين على القمة، والذين بدأوا يشعرون أنهم كانوا معدمين ...كان الإسلام حركة نضال بين الذين يملكون والذين امتلكوا منذ وقت قريب"[5].

---

[1]: مونتجومري وات:محمد في مكة. ص.242

[2]: السابق. ص40

[3]: د.عبد العظيم الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي. ص99،100

[4]: د.حسن عزوزي: آليات المنهج الإستشراقي في الدراسات الإسلامية ص.37

[5]: مونتجومري وات: محمد في مكة.ص189

ومن هذا الكلام يظهر للقارئ أن وات شأنه شأن غالبية المستشرقين الذين "يحاولون أن يطبقوا نظرية "الصراع الطبقي" على نشأة الإسلام و ظهوره وانتشاره، و يعتسفون في ذلك كل الإعتساف، ويحملون الأحداث مالا تحتمل بحال، ويقسمون الصحابة إلى يمين و يسار، و يدبرون صراعا موهوما بينهما"[1].

أما عن فكرة **تطور الأديان** فيقول وات: "لأن الباحثين المسلمين لا يعترفون بالفكرة الأوربية الحديثة عن التطور التدريجي، فإنهم قد اعتبروا محمدا (صلى الله عليه وسلم) كان على وعي كامل منذ البداية الأولى للدعوة بكل أبعاد عقيدة التوحيد... والحقيقة أن التوحيد الذي كان يؤمن به محمد(صلى الله عليه وسلم) كان في بدايته لا يختلف عن توحيد من هم أكثر تنورا في عصره؛ أي أنه كان توحيدا غامضا على نحو ما"[2].

فهو إذن يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوا إلى توحيد غامض، ولم يكتشف أنه على ضلال إلا بعد أعوام طويلة.

ثامنا: منهج التناقض

أما التناقض هنا " فهو اختلاف القضيتين بالإيجاب و السلب, بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى، كقولنا: زيد إنسان، زيد ليس إنسان"[3].

و المراد به عند المستشرقين أن يثبت المستشرق الفكرة في بحثه، ثم ما يلبث أن ينفيها في نفس البحث. وكثيرا ما وقع وات في هذا التناقض دون أن يدري، وأذكر على ذلك مثالا بارزا:

فبينما يرى وات أن الإسلام كان حركة صراع "بين الذين أصبحوا على وعي بالتفاوتات بينهم وبين أولائك المتربعين على القمة، والذين بدؤوا يشعرون أنهم كانوا معدمين...، وأن الإسلام كان حركة نضال بين الذين

---

[1]: يوسف القرضاوي: تاريخنا المفترى عليه .ص283

[2]: مونتجومري وات: محمد في مكة.ص124

[3]: الجرجاني: التعريفات 1/68

يملكون و الذين امتلكوا منذ وقت قريب"[1]. فبينما يرى ذلك نجده يعارض هذا القول في مكان آخر؛فيقول: "إن الإسلام كان حركة شباب من أسر ذوات حيثية (مكانة). ويواصل قائلا:ويمكن اعتبار خالد بن سعيد خير ممثل لهذه الطبقة (الفئة)، لكنْ هناك عديدون غيره. إنهم شباب من أسر ذوات نفوذ من عشائر قوية، وكانوا أقرباء للمستحوذين على السلطة في مكة الذين تزعموا المعارضة ضد محمد (صلى الله عليه وسلم). والجدير بالذكر أنه في غزوة بدر كان هناك أمثلة على أخ وأخيه، وأب وأبيه، وعم وابن أخيه، كان أحدهما يحارب الأخر، إذ كان أحدهما إلى جانب المسلمين و الأخر إلى جانب المشركين "[2].

وقد لاحظت أن معظم التناقضات التي وقع فيها وات، كانت تأتي بعد صفحة أو صفحتين من إثباته لهذه المسائل ذاتها.

تاسعا: منهج تقديم المراجع الإستشراقية على المصادر الإسلامية

لقد اعتمد وات في كتاباته عن النبي صلى الله عليه وسلم على مصادر أساتذته وإخوانه من المستشرقين، بل كان يقدم في كثير من الأحايين آراءهم على آراء علماء الإسلام الذين يعرفون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أثر مما يعرف هؤلاء المستشرقون.

فمثلا يذكر وات آية سورة النجم: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [الآية11]، وينقل عن المستشرق "ريتشارد بل" في ترجمته للقرآن قوله في هذه الآية: "ربما أضيفت فيما بعد بتطور آخر في هذه النظرية، بمعنى أنه بينما أدركت العينان العلامة أو الرمز، أدرك القلب الشيء المرموز"[3].

من المعلوم لدينا أن هذه الآية من سورة النجم قد نزلت بمكة، ولم تنزل في فترة لاحقة (في المدينة) كما يدعي وات و"بل".

---

[1]: مونتجومري وات: محمد في مكة. ص189

[2]: مونتجومري وات: محمد في مكة. ص187

[3]: مونتجومري وات: محمد في مكة.ص108

هذا وإذا قارنا كلام بعض المستشرقين ببعضه؛ أدركنا انعكاس أفكارهم على بعضهم البعض، وخصوصا على المستشرقين الذين لا يتمكنون ـ بسبب عجزهم اللغوي ـ من التعرف المباشر على الإسلام من خلال نصوصه ومصادره الأصلية، فلا يبقى أمامهم سوى التعرف عليه من خلال الكتابات الإستشراقية، و الولوج إليه عبر بوابة الإستشراق. وهنا يكمن الخطر؛ لأن الفكرة السيئة عن الإسلام ستظل أصلا لما بعدها، وستظل الأخطاء تتكرر ما دام اللاحق منهم ينقل عن السابق دون تمحيص، أو محاولة التحقق من صحة ما ورد عنه.

المبحث الرابع: بعض من قضايا السيرة في فكر وات

كتابات وات عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة:

لقد ظهرت جملة من الإرهاصات(الخوارق) التي تؤيد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، منها ما ظهر يوم مولده، ومنها ما ظهر بعد مولده إلى ما قبل البعثة. وكانت هذه الإرهاصات ـ ولا تزال ـ غصة في حلوق كثير من المستشرقين، وشوكة في ظهورهم؛ لأنها تؤكد على أنه صلى الله عليه وسلم ليس بشرا عاديا وإنما هو بشر رسول، ولقد جهر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة وأعلنها مدوية حين قال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [سورة الإسراء. الآية 93].

"والمطالع لسيرة محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) يرى من طبيعة حياته الخاصة صلابة المعدن الذي صيغ منه بدنه صياغة أعجزت العمالقة، وأمكنت صاحبه أن يحمل أعباء الحياة ومشاق الجهاد ولأواء العيش، وهو منتصب مقدام"[1].

وقد أشار وات إلى بعض هذه الإرهاصات في كتاباته عن النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، كرواية شق صدره صلى الله عليه وسلم حين كان مسترضعا في بادية بني سعد بن بكر[2]. وكذلك ما رأته آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم من النور الذي خرج منها ساعة وضعته، فأضاءت منه قصور الشام[3]. كما تعرض لقصة الراهب بحيرا أثناء لقائه مع النبي صلى الله عليه وسلم[4].

فهل يا ترى سيتقبل "وات" هذه الروايات التي تتحدث عن إرهاصات النبوة؟

---

[1]: محمد الغزالي:فقه السيرة بتعليق الشيخ الألباني، ص45

[2]: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم 162

[3]: مسند الإمام أحمد(28/395)، رقم (17163)، وقال الشيخ الأرنؤوط :صحيح لغيره.

[4]: سيرة ابن هشام (1/180)

إنه بمجرد ذكره لهذه الإرهاصات يعلق عليها تعليقا عاما ويعطيها حكم الروايات الخيالية فيقول: "تلك هي الحقائق الأساسية عن محمد(صلى الله عليه وسلم) قبل زواجه من وجهة نظر المؤرخين الذين يركزون على الحقائق الموضوعية، على أنه كان شخصية ذات أبعاد غيبية في هذه المرحلة المبكرة من عمره، وهناك طائفة من المؤرخين الذين لا يؤمنون بالغيبيات يكادون يجزمون بعدم صحة هذه الروايات؛ لأنها تشير إلى أمور من المنطقي أن نتوقع الإشارة إليها بعد أن أصبح نبيا، وهو ما لا نجد إشارة إليه. لكن من المؤكد أن هذه الروايات تعبر عن شيء بالنسبة للمسلمين المؤمنين، وبالتالي فهي حقيقة بالنسبة لهم ومناسبة لأصالة حياة نبيهم، وربما كانت تعبيرا عما كان يمكن أن يراه كل ذي عينين إن كان حاضرا وقت حدوثها"[1].

ونستخلص من كلام وات أنه يشكك في بعض ما جاء من كتب السنة والسير بشأن هذه الإرهاصات الوارد ذكرها سابقا، ولا يشفع لهذه الإرهاصات عنده ورودها في أصح كتب السنة والسير، كصحيح الإمام مسلم، وسيرة ابن إسحاق. والعجيب أنه اعتمد هذه الكتب كمصادر أساسية في أبحاثه عن السيرة النبوية.

والسؤال هنا: هل يصح في البحث العلمي اعتماد مصادر ثم التشكيك بما فيها أو بعضه؟

إن أصول البحث تأبى ذلك تماما.

ولا يكلف الرد على وات إلا نقل بعض ما جاء في كتب السيرة مما حدث به النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه، أو حدث به أصحابه، عن بعض الإرهاصات التي حدثت له قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم.

ولكي لا نقع في شرك الإفتراء بغير دليل، أذكر بعضا من الأمثلة:

شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم

إن شق الصدر ثابت بالسنة الصحيحة. فقد روى الإمام مسلم في صحيحه: "عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ

[1]: مونتجمري وات: محمد في مكة ص93,94

فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ"[1].

لكن وات لم يتعرض لهذه الإرهاصات من خلال هذه الرواية، وإنما تعرض لها من رواية ابن إسحاق، وهي:"...قالت حليمة: فرجعنا به، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدّ، فقال لي ولأبيه: ذَاكَ أَخِي القُرَشِيّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلاَنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَاهُ، فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَهُمَا يَسُوطَانِهِ. قالت: فخرجت أنا وأبواه نحوَه، فوجدناه قائماً منتقعا وجهُه، قالت: فالتزمتُه والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بُنَيَّ؟ قال: جَاءَنِي رَجُلاَنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي، فَالْتَمَسا فيه شَيْئًا لاَ أَدْرِي مَا هُوَ؟ قالت: فرجعنا به إلى خبائنا. قالت: وقال لي أبوه: يا حليمة ! لقد خشِيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصِيب، فألحِقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدمنا به على أمّه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئرُ؟ وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟! قالت: فقلت: فقد بلغ الله بابني، وقضيت الّذي عليّ، وتخوّفت الأحداثَ عليه، فأدّيته إليكِ كما تحبّين. قالت: ما هذا شأنك! فاصدُقيني خبرَك. فلم تدعْنِي حتّى أخبرتها"[2].

"وهذا خبر مستفيض في كتب السيرة قديمها وحديثها، وإذا كان خبر حليمة الطويل حول رضاعه صلى الله عليه وسلم لم يحظ بتصحيح المحدثين لعلل إسنادية، فإن رضاعه في بني سعد من قبل حليمة السعدية عن طريق أخرى "[3]. "وللحديث شواهد في السلسلة الصحيحة ترفعه لدرجة الحسن"[4].

وهذا الشق كان حقيقة؛ لأن من علماء المسلمين المعاصرين من قال بأن الشق كان مجازيا، وعندنا في السنة الصحيحة حديث يحسم الخلاف فيما إذا كان الشق حقيقة أو مجازا؛ فأنس بن مالك رضي الله عنه يقول في الحديث: "وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره (صلى الله عليه وسلم)"[1].

---

[1]: صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله (ص) برقم 162

[2]: سيرة ابن هشام (1/165)

[3]: أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ص 102،103 بتصرف يسير

[4]: الشيخ الألباني: السلسلة الصحيحة. (1/715) برقم 373

وقد أورد وات شبها حول النبي صلى الله عليه وسلم في كتابيه"محمد في مكة" و"محمد في المدينة"، وما يهمنا منها هنا شبهه التي أوردها في كتاب"محمد في مكة"، حيث ذكر قضية فتور الوحي ودس فيها ما دس من الشبه، وأذكر ذلك حسب قوله في الكتاب؛ فقد علق وات على جملة "ثم فتر الوحي عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) حتى حزن النبي(صلى الله عليه وسلم) حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال"[2]، بقوله: "ويمكن تمييز تجربتين خاضهما الرسول(صلى الله عليه وسلم)، الأولى الخوف من تجربة الوحي، والثانية يأسه الذي أدى به إلى التفكير في الإنتحار"[3]. كما قال: "ففكرة الإنتحار يمكن ـ بشق الأنفس ـ عزوها إلى محمد(صلى الله عليه وسلم)... ويمضي فيقول: وأكثر من هذا فإن فترة اليأس قد تكون متلائمة مع الرواية التي تحدثنا عن(الفترة)، وهي المدة التي انقطع فيها الوحي عن الرسول(صلى الله عليه وسلم)"[4].

نلاحظ هنا أن وات ـ من خلال هذا الحديث ـ يقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الإنتحار بسبب فتور الوحي (انقطاعه) عنه، وأن الداعي إلى الإنتحار ـ حسب زعمه ـ هو اليأس الذي أصابه صلى الله عليه وسلم.

وهذا مستحيل في حق الأنبياء، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف. 87].

وقال تعالى على لسان الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر. 56].

---

[1]. رواه مسلم وقد سبق تخريجه

[2]: صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب النظر حتى تدفن: رقم 6982

[3]: مونتجمري وات: محمد في مكة ص118

[4]: السابق ص119

وإذا نظر المتمعن في الحديث إلى هذه الرواية، سيجد أن هذه الجملة والتي هي أصل الشبهة، وهي: " حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنا ـ حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شوامخ الجبال..." لا يصح؛ لأنها مدرجة في متن الحديث أدرجها الزهري؛ ولذلك يعلق الحافظ بن حجر على هذه الزيادة قائلا: "هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس... ثم إن القائل ـ فيما بلغنا ـ هو الزهري ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة هو من بلاغات الزهري وليس موصولا... ويقول: وأما إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعدما نبئ، فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة، وخوفا مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعا، كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلا، حتى إذا تفكر فيما فيه، صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر واستقرت نفسه"[1].

فهذه القصة إذن قد"سيقت بلاغا؛ فهي من مرسلات الزهري، وفي مرسلاته كلام عند النقاد، ومن أشدهم وأوثقهم في رفضها وعدم قبولها إمام النقاد يحي بن سعيد القطان"[2].

ويقول الشيخ الألباني: "إن لهذه الرواية علتين، الأولى: تفرد معمر بها دون يونس وعقيل؛ فهي شاذة. الثانية:أنها مرسلة معضلة"[3].

بواعث خلوة النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء قبل البعثة

إن وات يجعل من غار حراء تارة خلوة للعبادة، وتارة أخرى يجعل منه منتجعا سياحيا يستجم فيه النبي صلى الله عليه وسلم ويلطف فيه جسمه؛ هربا من حر مكة القيظ، ليستريح فيه بعد مواسم العمل المجهدة، ومضاهاة وتأثرا بما كان يصنع عباد اليهود ورهبان النصارى من التعبد في الغيران والصوامع أو لرغبته في العزلة فيقول: "ربما كان ذلك وسيلة للهروب من حرارة مكة في موسم متعب لمن كانوا لا يستطيعون الذهاب إلى

---

[1]: ابن حجر: فتح الباري(12/359_361) بتصرف يسير دون مساس بالألفاظ

[2]: د.محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله(صلى الله عليه وسلم).(1/386.387)

[3]: محمد ناصر الدين الألباني: دفاع عن الحديث النبوي،ص14

الطائف، ويمكن أن يكون للتأثير اليهودي والمسيحي أو بعض التجارب الشخصية، أو الحاجة والرغبة في العزلة"[1].

كما يجعل وات من بواعث هذه الخلوة "السعي إلى الوحدة ليلجأ إلى الأمور الإلهية ويؤدي بعض العبادة؛ وربما طلبا للتكفير عن الخطايا"[2]. ويجعل وات من ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى غار حراء مجرد عادة شاركه فيها فقراء مكة في خر الصيف. وإنه لمن المعلوم ـ لدينا نحن المسلمون ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يختلي بغار حراء للتعبد، والنظر إلى عجيب خلق الله تعالى وآياته في الكون، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه على ملة أبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وذلك "بعيدا عن مجتمع مكة الوثني الفاسد وبعيدا عن المشاغل الدنيوية، وكان يحب أن يخلو إلى نفسه في غار يطل على الكعبة وعلى الأفق المترامي خلفها على مد البصر"[3].

وإن أفضل من رد على شبهة وات هذه الدكتور "عبد العظيم المطعني" في عدة نقاط أذكرها كاملة لشمولها وقوتها وكفايتها. فيقول متعجبا:

"1- هل كان محمد صلى الله عليه وسلم هو الفقير الوحيد في مكة؟ كلا وألف كلا فلماذا إذن ترك الفقراء الآخرون محمدا يتمتع وحده بهذا المصيف الرائع؟ ثم أن مكة مليئة بالجبال، فلماذا لم يشتهر عن الفقراء الآخرين أنهم كانوا يفرون إلى الجبال الأخرى كما فر محمد إلى جبل حراء؟

2- إن هذا الجبل الذي كان يلجأ إليه محمد صلى الله عليه وسلم ما أصعب الصعود إليه! وما أصعب الهبوط منه! إن رحلة الصعود تتطلب جهدا مضنيا، وزمنا لا يقل عن الساعة، فلماذا كان صلى الله عليه وسلم يتحمل هذا العناء؟ ألم يكن يكفيه أن يلجأ إلى ظل شجرة أو ظل حائط إن كان فعلا يفر من شدة الحرارة؟ وأهل مكة

---

[1]: مونتجومري وات. محمد في مكة، ص109

[2]: السابق ص110

[3]: د.محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم،ص 27

قديما كانوا يبنون بيوتهم على شكل قباب لها نوافذ تسمح بمرور الهواء وترطيبه ورش الأرض بالماء، أفكان محمد صلى الله عليه وسلم يعجز أن يصنع مثل صنعهم يا ترى؟

3- أنه لم يكن يصحب معه إلا الماء والتمر والخبز الجاف، فأين طلب المتعة الحسية في هذا الإعتزال؟

نسي المستشرقون أن محمدا صلى الله عليه وسلم - وقتذاك - كان زوجا لخديجة بنت خويلد، وأنها كانت من أثرى أثرياء قريش، فلو كان صلى الله عليه وسلم يريد الهروب من حر مكة لاستطاع أن يقيم هو وزوجته وأولاده منها في قصر منيف بالطائف، فيه ما لذ وطاب من المأكول والمشروب والمنظور، وما كانت خديجة رضي الله عنها لتبخل عليه بمالها، وله عندها منزلة ما حظي بها زوج من زوج.

5- إن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعا من الرسل وبعض الصديقين، فزكرياء - عليه السلام - كان يعتزل قومه، ومريم الصديقة كانت تعتزل قومها، وكل منهما أوتي في عزلته فضلا وآيات من الله. فزكرياء بُشر- في خلوته بيحيى بعد عقم، ومريم أنجبت رسول الله عيسى - عليه السلام -، ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقى في الخلوة مراسم الرسالة الخالدة. "إنها خلوات كانت بتدبير من ذي الجلال والإكرام وليست لطلب ملذات الدنيا ولا للهروب من معاناة ظروف الحياة.. المستشرقون سكتوا عن عزلتي زكرياء ومريم، وتناولوا عزلة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بالتشويه؛ لأنه رسول الإسلام ويقيني أن عزلة زكرياء ومريم لو كانت من وقائع السيرة الإسلامية لما سكتوا عنها"[1].

إن هذه الردود الخمسة القوية تبطل ما قاله وات سلفا من تعريفه للمحتوى الحقيقي لهذه الخلوات، والتي كان غرض النبي صلى الله عليه وسلم منها الإهتداء إلى خالق حقيقي لهذا الكون، خالق يستحق أن تصرف العبادة له دون سواه، كما كان ساخطا على ما كانت مكة تعج به من الفواحش والمنكرات، فعافت نفسه صلى الله عليه وسلم هذه الأدواء وراح يبحث عن دواء فهداه الله إلى خير الأديان، وهذا هو قول الله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [سورة الضحى 7].

[1]: د. عبد العظيم المطعني: افتراءات المستشرقين على الإسلام..عرض ونقد؛ ص 7، 8

يقول تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ (11) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ(14) ﴾.[النجم: 10 ،14]

يبدأ وات فيقول تحت عنوان"رؤى محمد": "إن بداية النبوة كانت الرؤيا الصادقة، وهذه الرؤى تختلف **تماما** عن الأحلام"[1]. وهذه كبوة فاضحة لن يستطيع وات النهوض منها؛ لأنه أدخل أنفه في مجال ليس له بأهل، وظن أن اللسان الأعجمي قادر على أن يعلم اللسان العربي.

إن وات لن يفقه لغتنا أكثر منا، فقد حاول السباحة ـ بلا علم وبلا معدات ـ في بحر اللغة العميق فغرق، فهو يقول عن الرؤيا: إنها تختلف **تماما** عن الحلم، ولاحظ كلمة تماما، ولن أقف طويلا أمام هذا الدعوى الساقطة، لكنني فقط سأضع بين يدي القارئ الفاضل معنى الرؤيا والحلم كما جاء في معجم واحد من معاجم اللغة المعتمد والتي يعرفها وات جيدا وهو لسان العرب؛ فقد ورد فيه أن "الحُلْمَ والحُلُمَ: الرؤيا، يقال: حَلَمَ يَحْلُمُ: إذا رأى في المنام، ويقول: الرؤيا من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح منه. ومنه يقول تعالى: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف 44]."[2]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"[3].

فالملاحظ أن كلا من الرؤيا والحلم يراهما النائم في المنام، وهذا ما يعارضه وات بقوة؛ حيث إنه يفرق بين الرؤيا الصادقة والرؤيا المنامية. وهذا خطأ، فالرؤيا الصادقة هي الرؤيا المنامية؛ بدلالة حديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"[4].

---

[1]: وات: محمد في مكة ص105

[2]: ابن منظور: لسان العرب، مادة حلم (145/12)

[3]: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية رقم 133

[4]: صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة رقم: 6982

وقد اتضح هدف وات من هذا التفسير التعسفي حين قال: "والتفسير المعتاد لهذه الآيات عند المسلمين أن المرئي كان جبريل، ولكنَّ هناك أسبابا تدعونا إلى أن نظن أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) قد فسرها في الأصل على أنها رؤية لله ذاته؛ فإن جبريل لم يذكر في القرآن إلا في المدينة، والتعبير(عبده) في الآية ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ لا بد أنه يعني عبد الله كما يجمع المسلمون، ولكن ذلك يجعل التركيب اللفظي غير منسجم إلا إذا كان الله هو المعني بالأفعال ، كذلك فإن جملة: (حتى فجأه الحق) لها أهمية مشابهة؛ لأن كلمة الحق من أساليب الإشارة إلى الله، ويمكننا أن ننظر بنفس الطريقة إلى جملة : (فجاءني وقال: يا محمد، أنت رسول الله)، وكذلك فإن بعض روايات جابر في شرح سورة النجم تقول ـ على لسان محمد ـ (صلى الله عليه وسلم) فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئا ، فنظرت إلى السماء فإذا هو على العرش... ويمضي وات قائلا: ربما كان هذا هو تفسير محمد(صلى الله عليه وسلم) الأصلي لهذه الروايات، إلا أنها لم تكن بأي حال التفسير النهائي؛ لأنه يتناقض مع ما ورد في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الآية103]، ومع ذلك فإن سورة النجم بالرغم من أنها تحتمل هذا التفسير إلا أنه يمكن أيضا النظر إليها بطرق أخرى، فإن التعبير بقوله: ﴿ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾[النجم:18] لا يعني رؤية الله بالطبع، ولكن يمكن فهمها على أنها تعني أن ما رآه محمد(صلى الله عليه وسلم)كان علامة أو رمزا لمجد الله وجلاله، كما توحي الآية 11 وهي: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، والتي ربما أضيفت فيما بعد[1] بتطور آخر في هذه النظرية، بمعنى أنه بينما أدركت العينان العلامة أو الرمز، أدرك القلب الشيء المرموز، فإذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قد فسر الرؤية في البداية على أنها رؤية مباشرة، فإن هذا يتضمن أنه بالرغم من أن تفسيره لم يكن دقيقا تماما إلا أنه لم يكن مخطئا في الأساسيات...ثم يقول: وبهذه الطريقة يمكننا أن نتفادى أن يكون المرئي هو جبريل، وهو أمر مخالف للتاريخ، كما يمكننا أيضا أن نتفادى التناقض مع النظرة الإسلامية في أن محمدا لم ير الله"[2].

[1]: إن هذه الآية نزلت في مكة ولم تنزل فيما بعد(المدينة) كما يدعي وات

[2]: وات. محمد في مكة ص: 106_108

هذا هو كلام وات وقد ذكرته ـ على طوله ـ وسأناقشه بشكل عام:

فقد ادعى وات بأن جبريل ـ عليه السلام ـ لم يذكر إلا في القرآن المدني، أما المكي فلا. ونحن نعلم أن هذه مجرد شبهة وادعاء لتبرير وجهة نظره بحيث أن وات اطلع على القرآن كله ـ بلا شك ـ بدليل النتيجة التي وصل إليها عنده في كل ما كتب؛ لأنه تعامى عن أشياء هي ضد ما يدعي تماما. فقد "ورد ذكر جبريل بالوصف مرارا في القرآن المكي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (19) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (20) مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ(21) ﴾ [التكوير. الآيات 19ـ21]. فقد أجمع علماء الأمة على أن المراد بالرسول الكريم هنا وما عطف عليه هو جبريل ـ عليه السلام ـ. وعلماء المسلمين أعلم بكتاب الله من المستشرق وات، ومن المستشرقين جميعا. وفي سورة النحل: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية،102]. وفي سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ 193 عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ 194 ﴾[الآيتين 194،194]. فكيف تعامى وات عن هذه النصوص إذا لم يكن سيئ النية؟ وهب جدلا أن وات لم يطلع على القرآن كله. فهو قطعا اطلع على آية البقرة المدنية التي ورد فيها اسم جبريل صريحا. نحن نقبل هذا الإحتمال، ومع ذلك نجزم بسوء النية عنده، أتدري لماذا؟ إقرأ معي نص آية البقرة: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة آية 97]. فالآية تصرح بأن جبريل نزل بالقرآن كله مكيه ومدنيه"[1].

ثم إن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم نفسه ـ وهو الذي أقر وات قبل قليل أنه صادق ـ هو الذي أخبر بأن الذي رآه كان جبريل عليه السلام. فكيف يصفه وات بالصدق ثم لا يصدقه؟

"وإذا أراد وات أن يساير هذا المنطق فليقل: إن الرجل الذي أوحي إليه بمكة لم يكن محمدا؛ لأن اسم محمد لم يذكر في السور المكية "[2].

---

[1]: عبد العظيم المطعني: افتراءات المستشرقين على الإسلام.. عرض ونقد.ص11 ـ 12

[2]: د. جعفر شيخ إدريس: بحث له بعنوان: منهج مونتيجمري وات في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: في كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية(216/1)

ويستدل وات على أن المرئي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الله بكلمة "الحق" ؛ وذلك أن الحق هو اسم من أسماء الله الحسنى.

صحيح أن من أسماء الله الحسنى اسم "الحق"، لكن السياق يرفض ذلك التأويل. ثم إن للحق معان عديدة "فالحق نقيض للباطل ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [سورة البقرة 43]، ويعني اليقين، والحق هو الله ، أو التنزيل، وبمعنى الثواب، والحق: صدق الحديث...إلخ"[1]. وعلى أية حال فقد حسم الحافظ ابن حجر المسألة فقال: "حتى جاءه الحق: أي الأمر الحق...وقال: وسمي حقا لأنه وحي من الله تعالى"[2].

مرحلة الدعوة السرية.

يقول وات في هذه المرحلة: "وهناك دلائل قوية في الأحاديث على أن هناك تمييزا بين الدعوة العلنية والدعوة السرية... وقد أخبرنا ابن إسحاق أن الوحي كان يبلغ إلى محمد صلى الله عليه وسلم على لسان إسرافيل لمدة ثلاث سنين قبل السنين العشر التي كان الوحي يأتي فيها على لسان جبريل"[3].

ويقول كذلك على هذه المرحلة: "وقد استمرت هذه المرحلة ثلاث سنين، وفي هذه المرحلة كان قد بدأ يتلقى وحيا من نوع ما، وفي الأحاديث التي ورد فيها ذكر إسرافيل ما يفيد أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يسمع صوتا ولا يرى جرما، ويمكن أن نرجع القسم الأول من سورة العلق وسورة الضحى إلى هذه المرحلة، وقد يكونان(العلق والضحى) أيضا من نوع الوحي ذي الطبيعة الخاصة(الموجه إلى محمد خاصة)، والذي لم يعتبره محمد جزءا من القرآن، وعند نهاية هذه السنين الثلاث كانت الفترة (فترة انقطاع الوحي)"[4].

يلاحظ القارئ أن وات قد قسم الكلام في هذه المرحلة إلى نقطتين:

النقطة الأولى: إسرافيل-عليه السلام-كان ملك الوحي في مرحلة الدعوة السرية.

---

[1]: ابن منظور: لسان العرب. (49/10)

[2]: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري. (23/1)

[3]: وات. محمد في مكة: ص 195

[4]: مونتجمري وات: محمد في مكة، ص117

النقطة الثانية: طبيعة الوحي في هذه المرحلة.

والآن أشرع في البيان بإذن الله:

النقطة الأولى: دعواه بأن إسرافيل كان ملك الوحي في مرحلة الدعوة السرية.

من المعلوم لدى المسلمين أن ملك الوحي الذي نزل بالقرآن الكريم كله من أوله إلى آخره هو الأمين جبريل - عليه السلام-. ولكن وات فاجأنا بأن إسرافيل - عليه السلام - ظل أمينا على الوحي، ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم لمدة ثلاث سنين، وهي مدة الدعوة السرية، قبل أن يتولى جبري هذه المهمة. وهذا غير صحيح. فقد "اتفقت كلمة أئمة الإسلام وأعلام علماء الإسلام في كافة الأعصر والأجيال، وذوي المعرفة من الحكماء في سائر أوطان الإسلام؛ على أن المَلَك الذي أخبر به حديث بدء الوحي في جميع رواياته أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء يقظة مفاجأة فقال له: "إقرأ" هو الروح الأمين جبريل"[1].

إذن فمن أين جاء وات بهذا؟ هل لذلك عندنا أصل؟

نعم. فقد وجدت في بعض كتب التاريخ والطبقات روايات تشير إلى ذلك بصراحة، وإن كان مصنفوا هذه الكتب لم يتبنوا هذا الرأي، فكل من أورد هذه الروايات يعلق عليها بقوله: (قال الواقدي: ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قرن به). فقد جاء في دلائل النبوة:"أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال: حدثنا حنبل بن إسحاق قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن عامر قال: نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام فنزل القرآن على لسانه عشرين، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة فمات وهو ابن ثلاث وستين"[2]. وليس في الحديث ما يدل على أن إسرافيل نزل بشيء من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنه ينفي إمكانية ذلك تماما. ولقد"قال الواقدي: ذكرت ذلك لمحمد

[1]: د. محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، (255/1)

[2]: البيهقي: دلائل النبوة (132/2)

بن صالح بن دينار، فقال: والله يا ابن أخي لقد سمعت عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة يحدثان في المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا، فأنكراه جميعا، وقالا: ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قرن به، وكان يأتيه بالوحي من يوم نبئ إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم"[1].

يتضح مما سبق أن علماءنا لما نقلوا هذه الروايات لم يعتمدوها، بل وجهو لها سهام النقد والإتهام. وعلى أي حال فإن في هذه الرواية ردا على وات، ودليلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من إسرافيل شيئا من القرآن، فهذا ما صرحت به الرواية حين جاء فيها:"أنه كان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن" وهذه الجملة كافية للرد على وات.

النقطة الثانية: حقيقة الوحي في مرحلة الدعوة السرية.

يتبنى وات فكرة جديدة هنا وهي: أن الوحي كان نوعين؛خاصا، وعاما. فما نزل في فترة الدعوة السرية كان من نوع الوحي الخاص، وأما ما نزل بعد ذلك فكان وحيا من النوع العام. وأقول: مادام الوحي الذي نزل في الفترة الأولى من الدعوة لم يكن من القرآن، فإن صدر سورة العلق، وسورة المزمل، والمدثر، والضحى. كل هذه السور ليست من القرآن.

إن ذلك محض افتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كيف يكتم وحيا أنزله الله عليه، وقد نزل عليه قوله تعالى وتلاه على الناس: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة 159]. كما نزل عليه قول ربه سبحانه: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ [الكهف 27]، ولم يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتلاوة سورة دون أخرى.

ولو كان كلام وات صحيحا فلم نجد هذه السور في مصاحفنا إلى الآن مادام النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتبرها قرآنا ؟ ولم توجد في ترجمات المستشرقين للقرآن ؟

[1]: الطبري: تاريخ الرسل والملوك (2/387،386)

إن وات يريد أن يثبت أن في القرآن زيادة، ومادام أثبت أن فيه زيادة، فإنه يسهل أن يقال بعد ذلك: إن فيه نقصا. وحاشا للقرآن أن توجد فيه زيادة أو نقص، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيد فيه أو ينقص منه، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (46) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ(47) ﴾ [الحاقة: الآيات 44_47]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة 67]"[1].

دوافع الهجرة من وجهة نظر وات

يبدأ وات كلامه عن الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بنفي سبب رئيس من أسباب الهجرة إلى المدينة(وهو الفرار من أذى مشركي مكة للمسلمين)، ويرى أن ذلك مجرد زعم أو تضخيم للهجرة، ويرى أن "دوافع النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه لذلك كانت هي إمكانية ازدهار الحركة في المدينة، أما قول عروة بن الزبير أنهم هاجروا للمدينة؛ هربا من الإضطهاد، فالتركيز على ذلك يعطي انطباعا خاطئا، فلم تكن هناك سلسلة جديدة متواصلة من الإضطهاد قبل الهجرة"[2].

يأتي هذا التفسير من وات ضمن سلسلة تفسيراته الماركسية لوقائع السيرة النبوية ـ بل لأهم حدث في السيرة ـ، وخطته لتفريغ السيرة النبوية من محتواها الديني والروحي. وقد استبعد وات واقعة أكدتها كل كتب السيرة، بل أكدها القرآن قبل ذلك، وهي التآمر برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة، حيث قال الله تعالى محذرا رسوله صلى الله عليه وسلم:﴿ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال 30]. وهو بذلك ينفي بغير دليل.

---

[1]: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء؟، رقم 177

[2]: مونتجمري وات: محمد في مكة. ص290

ويقول: "لم تكن هناك محاولة تتسم بالتصميم على قتل (محمد صلى الله عليه وسلم)، وعلى هذا فالإتفاق الذي اتفق عليه زعماء قريش في هذا الإجتماع كان أقل خطورة مما تؤكده المصادر، ويقول: فالرواية عن الهجرة بشكل عام تتسم بوجود كثير من الزخارف المقحمة"[1].

يدعي وات أنه لم تكن هناك اضطهادات كثيرة قبل الهجرة، وأن سبب الهجرة لم يكن شدة الإيذاء الواقع على المسلمين، وإنما كانت سعيا وراء ازدهار الحركة في المدينة. والحق أن معظم الآيات التي نزلت في أواخر الفترة المكية قبل الهجرة، كانت تحمل للمسلمين نوعا من المواساة التي تخفف عنهم ألم المعاناة والتعذيب الذي كانوا يلاقونه من الملأ المكي المشرك، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل 41]. ونزل أيضا قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النحل 110]. كما نزل قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾[العنكبوت 2].

كل تلك الآيات في أواخر الفترة المكية لحث المسلمين على التذرع بالصبر، وتحمل الأذى في سبيل الله تعالى، وفيها أيضا أن الهجرة كانت خلاصا لهم من الفتنة، وجزاء وِفاقا لهم على الصبر وتحمل الظلم.

كل ذلك يجعلني أؤكد ـ بأريحية تامة ـ أن الإضطهاد الذي لحق بالمسلمين هو الذي دفعهم إلى الهجرة؛ لقناعتهم باستحالة التعايش مع الكفار.

وإضافة إلى هذا الإدعاء؛ يضيف وات ادعاء آخر هو أنه لم تكن هناك محاولة جادة من قبل المشركين في دار الندوة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم.

إن وات لا ينفي هذا الإجتماع بالجملة، وإنما ينفي ما دار فيه من تآمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان وات لا ينفي هذا الإجتماع؛ فهل يستطيع أن يخبرنا عن سبب انعقاده؟

[1]: السابق. ص292

لقد أكد القرآن الكريم سبب انعقاد هذا الإجتماع، وهو الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله سبحانه:﴿ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[الأنفال 30].

وكذلك الروايات الإسلامية تؤكد هذا الأمر فقد " قال ابن إسحاق: وَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلَدِهِمْ وَرَأَوْا خُرُوجَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ إلَيْهِمْ عَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً فَحَذِرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَيْهِمْ وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ أُجْمِعَ لِحَرْبِهِمْ. فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النّدْوَةِ - وَهِيَ دَارُ قُصَيّ بْنِ كِلَابٍ الّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إلّا فِيهَا - يَتَشَاوَرُونَ فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَافُوهُ. فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمّا أَجْمَعُوا لِذَلِكَ وَاتّعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِي دَارِ النّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَوْا فِي الْيَوْمِ الّذِي اتّعَدُوا لَهُ وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يُسَمّى يَوْمَ الرّحْمَةِ فَاعْتَرَضَهُمْ إبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، عَلَيْهِ بِتلّةٍ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدّارِ فَلَمّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا، قَالُوا: مَنْ الشّيْخُ؟ قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالّذِي اتّعَدْتُمْ لَهُ فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ وَعَسَى أَنْ لَا يَعْدَمَكُمْ مِنْهُ رَأْيًا وَنُصْحًا، قَالُوا: أَجَلْ فَادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ. وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ: النّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ. وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى: أَبُو الْبَخْتَرِيّ بْنُ هِشَامٍ وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطّلِبِ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ. وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ. وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ: نَبِيهٌ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاجِ، وَمِنْ بَنِي جُمَحٍ: أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِمّنْ لَا يُعَدّ مِنْ قُرَيْشٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إنّ هَذَا الرّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ فَإِنّا وَاَللهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا فِيمَنْ قَدْ اتّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا. قَالَ فَتَشَاوَرُوا ثُمّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا، ثُمّ تَرَبّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنْ الشّعَرَاءِ الّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ زُهَيْرًا وَالنّابِغَةَ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ حَتّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ. فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: لَا وَاَللهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ. وَاَللهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنّ أَمْرُهُ

مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمْ دُونَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَأَوْشَكُوا أَنْ يَثِبُوا عَلَيْكُمْ فَيَنْزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يُكَاثِرُوكُمْ بِهِ حَتَّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ فَتَشَاوَرُوا، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا، فَإِذَا أُخْرِجَ عَنَّا فَوَاللَّهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ وَلَا حَيْثُ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنَّا وَفَرَغْنَا مِنْهُ فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأُلْفَتَنَا كَمَا كَانَتْ.

فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيّ: لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ وَغَلَبَتَهُ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَى حَيٍّ مِنْ الْعَرَبِ، فَيَغْلِبُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى يُتَابِعُوهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَسِيرُ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطَأَكُمْ بِهِمْ فِي بِلَادِكُمْ فَيَأْخُذُ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يَفْعَلُ بِكُمْ مَا أَرَادَ دَبِّرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا. قَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَاللَّهِ إِنَّ لِي فِيهِ لَرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ؟ قَالَ أَرَى أَنَّ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابًّا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينَا، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ فَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ. فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ. قَالَ فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ الرَّجُلُ هَذَا الرَّأْيُ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مجمعون لَهُ"[1].

وهذه النصوص تظهر أن الهدف من انعقاد هذا الإجتماع كان واحدا من أمور ثلاثة:

1ـ **الحبس**، وهذا واضح في قوله تعالى ﴿ لِيُثْبِتُوكَ﴾ كما هي في تفسير ابن كثير: أي ليحبسوك[2].

2ـ **القتل**، وهذا واضح في قوله تعالى ﴿ يَقْتُلُوكَ ﴾.

3ـ **النفي من مكة**، وهذا واضح في قوله تعالى ﴿ يُخْرِجُوكَ﴾.

ومعروف أن وات جعل سيرة ابن هشام من مصادره في دراسة السيرة النبوية. **فكيف تغافل عن هذه الرواية؟**

[1]: ابن هشام. (480/1. 481)
[2]: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (43/4)

أترك هذا السؤال مفتوحا حتى ينظر القارئ الكريم بنفسه إلى الحقائق و الثوابت. ويُعمل فكره في الإجابة، راجيا من الله التوفيـــــــــــــــــــــــق

خاتمة

لم يكن الإستشراق إلا واحدا من جبهات كثيرة تهاجم الإسلام منذ ظهوره وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،وما هذا البحث إلا كنقطة داخل صفحة كبيرة من هذه الردود التي وجهت سهامها نحو أعداء الإسلام للدفاع عن هذا الدين الحنيف.

وكما هو معلوم فإن لكل بحث نتائج يستفيدها الباحث منه، وإلا فالبحث لا أهمية له، لهذا اذكر بعضا من نتائج هذا البحث:

أولاـ إن سمة الإستشراق العالمي هي إعلان الحرب الضروس على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياـ وسط هذا المناخ المكفهر من العداء الإستشراقي، قد نجد بعض المستشرقين المعتدلين ـ وما أندرهم ـ يمكن أن يدافعوا عن الإسلام ورسوله.

ثالثاـ وقوع المستشرق مونتجومري وات في أخطاء منهجية وفكرية متعمدة غالبا و عن غير عمد أحيانا.

رابعاـ أهمية الإستفادة من كتابات المستشرقين المعتدلين في تحسين تصورات الغربيين عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.

خامساـ ولع معظم المستشرقين بتحريف النصوص القرآنية والنبوية لتأييد أفكارهم المسبقة عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.

سادساـ ألا يُحَكِّم الباحث المؤرخ المناهج المادية في تفسير الحوادث التاريخ الإسلام لعدم صلاحيتها لذلك.

سابعاـ ضرورة ترجمة الأعمال التاريخية و الموسوعات العلمية في اللغات العالمية، وبأيد إسلامية أمينة مع التدقيق العلمي والتاريخي و اللغوي و مراعاة عقلية من نخاطب بتلك الترجمات.

ثامناـ إذا ترجمت أعمال المستشرقين فليكن ذلك بأيد حاذقة أمينة، على علم ودراية كافية بأساليب القوم في المراوغات.

تاسعاـ أن تقرن التراجم بالتحليل العلمي لما يقع فيه المؤلف من أخطاء، وضرورة التعقيب المباشر على كل ملحوظة تبدو للمترجم.

عاشراـ من الضروري أن نستقي تاريخنا من مصادرنا العلمية، لا من مدونات ودوائر المعارف الأجنبية

قائمة المصادر والمراجع (مرتبة هجائيا)

أولا ـ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانيا ـ كتب التفسير

ـ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، ط2 دار الكتب المصرية ـ القاهرة 1996م

ـ محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم ـ عرض تاريخي وتحليل مقارن، ط دار القلم ـ الكويت 1974م.

ـ محمد محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ،ط4 مكتبة وهبة 1990م.

ثالثا ـ كتب الحديث وعلومه

ـ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط دار المعرفة ـ بيروت 1959م.

ـ أبو داوود السجستاني: سنن أبي داوود، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط دار الفكر ـ بيروت، د.ت.

ـ البيهقي: دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث 1988م.

ـ محمد بن اسماعيل البخاري: **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه** (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1 دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي د.ت.

ـ محمد ناصر الدين الألباني: دفاع عن الحديث النبوي ط. دار الأرقم، د.ت.

ـ محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط. مكتبة المعرفة ـ الرياض، د.ت.

ـ مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، 1995م.

رابعا ـ كتب اللغة

ـ ابن منظور: لسان العرب، ط1 دار صادر ـ بيروت د.ت.

ـ عبد القاهر الجرجاني: التعريفات ط1 دار الكتب العلمية، بيروت 1983م

ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ـ القاهرة، 1983م

خامسا ـ كتب السيرة والتراجم والتاريخ

ـ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد،تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط14مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية- الكويت 1986م.

ـ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ـ محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ـ، ط6 مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة 1994م.

ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط2 دار المعارف مصر د.ت.

ـ القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى. تحقيق: عبد السلام محمد أمين.ط6 دار الكتب العلمية ـ بيروت 2012م.

ـ جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام، ط دار الحداثة ـ بغداد، د.ت.

ـ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة،ط2 دار النفائس، بيروت ـ 2004م.

ـ محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله ـ منهج ورسالة وتحقيق، ط2 دار القلم ـ دمشق 1995م.

ـ محمد الغزالي: فقه السيرة بتحقيق الألباني، ط8 دار الريان للتراث، 1987م.

ـ محمد بن إسحاق: سيرة ابن إسحاق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

ـ يوسف القرضاوي: تاريخنا المفترى عليه، ط1 دار الشروق، 2005م.

سادسا ـ الكتب المعربة

ـ أتين دينيه، سليمان إبراهيم: محمد رسول الله، ترجمة: عبد الحليم محمود، محمد عبد الحليم محمود، ط2 دار المعارف مصر د.ت.

ـ إجناس جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط مكتبة المثنى ـ بغداد د.ت.

ـ أليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجراد، ط عالم المعرفة د.ت.

ـ تيودور نولدكة: تاريخ القرآن، ترجمة:جورج تامر، ط1 مؤسسة كونراد ـ أناور 2004م.

ـ زيغريد هونكة: الله. ليس كذلك؟ ترجمة: غريب محمد غريب، ط2 دار الشروق ـ مصر 1996م.

ـ موريس بوكاي: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة: حسن خالد،ط3 المكتب الإسلامي ـ بيروت 1990م.

ـ مونتجمري وات: محمد في مكة، ترجمة: عبد الرحمان الشيخ وحسن عيسى، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب 1988م.

ـ يوليوس فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط2 الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ت.

سابعا ـ كتب متنوعة ذات صلة بالموضوع

ـ حسن عزوزي: آليات المنهج الإستشراقي في الدراسات الإسلامية، ط مطبعة أنفو برانت ـ فاس د.ت.

ـ عبد الحليم محمود: أوربا الإسلام، ط4 دار المعارف ـ مصر، د.ت.

ـ عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ط3 دار العلم للملايين ـ بيروت 1993.

ـ عبد العظيم الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة ط1 رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية ـ قطر 1990م.

ـ عبد العظيم المطعني: افتراءات المستشرقين على الإسلام.. عرض ونقد، ط1 مكتبة وهبة 1992م

ـ علي بن إبراهيم النملة: الإستشراق و الدراسات الإسلامية.. مصادر الإستشراق و المستشرقين ومصدريتهم، ط1 مكتبة التوبة ـ الرياض 1998م.

ـ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ط دار العلم للملايين، بيروت 1975م.

ـ محمد أبو ليلة: القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي.. دراسة نقدية تحليلية، ط1 دار النشر ـ للجامعات، 2002م.

ـ محمد الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ط7 دار نهضة مصر 2005م.

ـ محمد خروبات: الإستشراق و العلوم الإسلامية بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل،ط1 المطبعة والوراقة الوطنية ـ مراكش 2017م.

ـ محمود حمدي زقزوق: الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط دار المعارف ـ مصر د.ت.

ـ مصطفى السباعي: الإستشراق والمستشرقون.. ما لهم وما عليهم، ط دار الورق د.ت.

ثامنا ـ الأنترنت

ـ شبكة الأنترنت: موقع إسلام ويب.

ـ شبكة الأنترنت: موقع المكتبة.

ـ شبكة الأنترنت: موقع سورة قرآن.

ـ شبكة الأنترنت: موقع شبكة الألوكة.

ـ شبكة الأنترنت: موقع مكتبة المسلم.

ـ شبكة الأنترنت: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	5
الفصل الأول: الإستشراق مفهومه وتاريخه	8
المبحث الأول: مفهوم الإستشراق وأهدافه وغاياته	9
المبحث الثاني: تاريخ الحركة الإستشراقية	13
المبحث الثالث: نماذج من المستشرقين	15
المبحث الرابع: تاريخ الحركة الإستشراقية	20
الفصل الثاني: النقد الإستشراقي لمرويات السيرة النبوية من خلال كتاب "محمد في مكة" لويليام مونتجمري وات	23
المبحث الأول: منهجية كتاب "محمد في مكة" وتصميمه	24
المبحث الثاني: مصادر وات لدراسة السيرة النبوية	27
المبحث الثالث: قواعد منهج وات لدراسة السيرة النبوية	35
المبحث الرابع: بعض قضايا السيرة النبوية في فكر وات	46
خاتمة	64
المصادر	66
فهرس الموضوعات	71